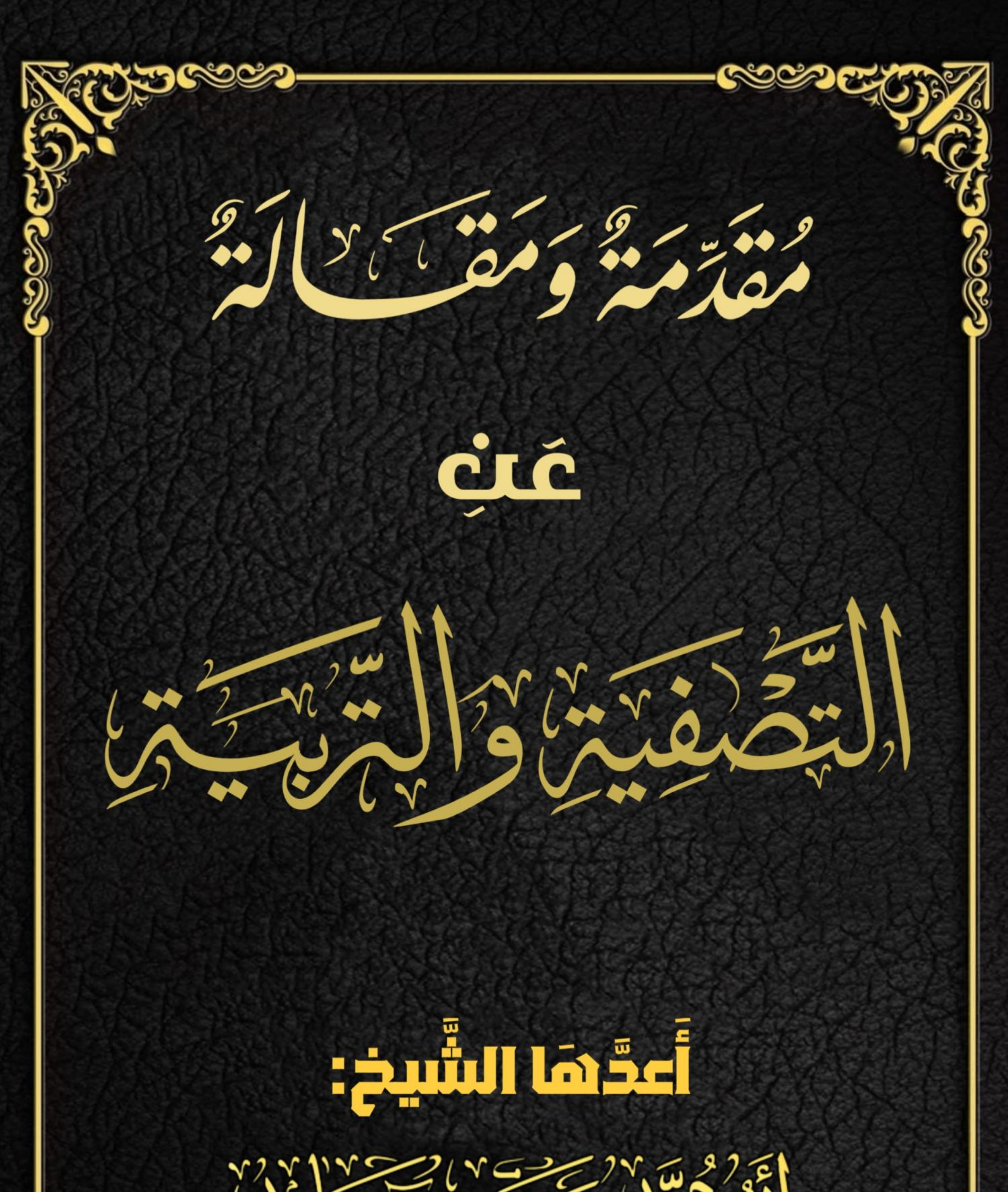



أَعدَّهَا الشَّيخ:

أَبُو مُحَمَّد حسَن بن حَامِد

-عَفَا اللهُ عَنْهُ-

# مُقَدِّمَةٌ وَمَقَالَةٌ

# عَنِ

# التَّصْفِيَةِ وَالتَّرْبِيَةِ


أعدها الشَّيخ:

**أَبُو مُحَمَّدٍ حَسَنُ بْنُ حَامِدٍ**

-عَفَا اللهُ عَنْهُ-

بسم الله الرحمن الرحيم

# المُقدِّمَــة

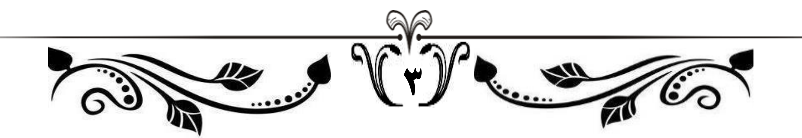
الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وعلىٰ آلهِ وصحبهِ أَجْمَعينْ.

**أمّا بَعْدُ:**

فقد كنتُ جمعتُ مقالةً عن منهج التصفية والتربية من كلامٍ بعض أهلِ العلم لأُبرهن علىٰ أنَّه المنهج الكفيل بإسعادِ مَنْ أكرمه الله به في الدنيا والآخرة إلىٰ جنب أنه الطريق إلىٰ إصلاح المجتمعات المسلمة لتتمكن -بإذن الله- من رفع الذل والضعف والهوان الذي جثم علىٰ صدرها ردحًا طويلاً من الزمن.

**ومما وقفتُ عليه في تعريف الإصلاح:** أنَّه الدَّعوةُ الَّتي تَستهدِف العَودةَ بِالإسلامِ إلىٰ طَهارَتِه الأولىٰ وتُعيد التَّعريفَ بالإسلامِ الصَّحِيحِ اِعتماداً علىٰ الكِتابِ والسُّـنَّـة علىٰ منهج السَّلف وتعمل علىٰ أن تُطابقَ حياةُ أهلِ الإسلامِ لأحكامِ دينهم وقِيَمِه فكان مُؤدَّىٰ هذا التعريف أنه لا إصلاح إلَّا في المنهج السَّلفيّ وبالمنهج السَّلفِي.

كتبتُ هذه المقالة قبل زمنٍ في السُّودان وبحثتُ عنها فيما بين يدي من كتابات فلم أجدها وراسلتُ أخانا الفاضل أبا عثمان التاج بن محمد فبشرّني بأن عنده نُسخةً منها وأرسلها لي فراجعتها وهأنذا أكتبُ لها مُقدِّمةً وأنا مُقيمٌ بقريةِ الشَّيخ عَبد الإله رِيفي سَمَالُوطْ التَّابعة لمُحافَظَة المِنْـيَا.



**وأُذكِّر -هُنا- بحقَائِقَ مُهِمَّةٍ:**

**□ أولاً:**

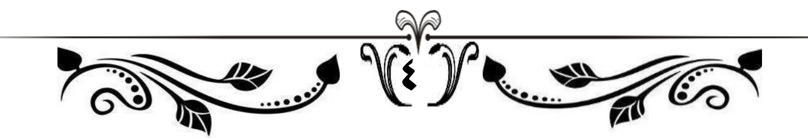
أنَّ الإِسلامَ الحق لا يَحتاجُ إِلىٰ إِصْلاحٍ وإِنَّما يتوجَّهُ الإِصْلَاحُ في المنهجِ السَّلفيّ إلىٰ تَصوُّراتِ وأَعمالِ أكثر المُسلمينَ المُخالفة لِلشَّرع:
إلىٰ تَصوُّراتِـهم المُنحَرِفَة الَّتي أَلصَقُوهَا بِالدِّينِ رداً وبيانـاً وتصفيةً.
وَإِلَىٰ أَعْمَالِهِم المُخَالِفَة لِلشَّرعِ بإِقَامَتِها عَلَىٰ الإِسْلَامِ المُصفَّىٰ تَزْكِيةً وتَرْبِيةً.
وَسَيأْتِـي التَّعريفُ بِمنْهجِ التَّصفِيةِ والتَّربيةِ في ثَنايَا المَقَالَةِ.

**□ ثانياً:**

أنَّ بَيان صِحَّة هذا المَنهج وتَعَيُّنه يَقُومُ عَلَىٰ الأَدِلَّة وَمَنْ تَجاوَزَها فَهُو مِن الأذِلَّةِ ويُصدِّقُها الوَاقِع فإِنَّ جَميعَ طُرُقِ الإصلاحِ الَّتي تـنـكَّبت المنهج السَّلفِيّ لم تُحقِّق لِلإسلامِ الأَهدافَ والغَايَات الَّتي يَبتَغِيها هَذَا الدِّين وَيَسْعَىٰ لِتَحْقِيـقِهَا بل إِنَّ حَملَةَ أَلْوِيةِ تِلكَ المَنَاهِج لم يعد يَصِلُهُم بالإِسلام الحقِّ مِن حيثُ العَقيدةُ وَالعِبادة والسُّلوك والمَظْهَر إلا مُجرَّد الانْتِمَاء فِي حَال الأكثر مِنْهُم.
وَسَيأْتِي ذِكْرُ بَعضِ الأَدِلَّة فِي المَقَالَة.

**□ ثالثاً:**

عند ذِكرِ مناهجِ الإِصْلَاح نَستَبعِدُ تماماً المَناهِجَ الوَافِدَة المَتأثِّرة بِالغربِ وإِن تدثَّرت بِالإِسلامِ بَل نَراهَا مِن صُورِ الغَزْوِ الفِكرِيِّ الَّذي يَعمَلُ عَلىٰ طَمسِ الإِسلام الحقِّ فَهِي عِندَنا لَا تَستَحِقُّ ذِكراً وَلَا تَستَدْعِي نَقْداً لأَنَّها مَفْضُوحَةٌ!



**❑ رابعاً:**

قَد تَجِدُ مَن يَذكُر النَّموذَج المَعرفِي للتَّوحيد كَمنهجٍ لِلإِصْلَاح فَإِذا تفحَّصْت مُرادَهُ بِه وَجدْتَه أَبْعَد مَا يَكُونُ عَنِ التَّوحيدِ الَّذِي هُو أَسَاسُ رِسَالاتِ الأَنْبِياء وَمَنهَجُ الدَّعوةِ عِندَ العُلمَاء وَذلك أنَّ كَثِيراً مِنَ المُعاصِرِينَ يَستَعمِلُ مُصطلحاتٍ شَرعِيَّةٍ لكنَّه يُرِيدُ بِها غَير المَضامين الَّتي تَدُلُّ عَليها فِي الإِسلام فتنَبَّه لِذَلِك ولا تُخدع.

**❑ خامساً:**

المَنْهَجُ السَّلفِيّ فِي الإِصلاح يُحتِّمُ إِعْمَال مَبدإِ النَّقد العَادل الَّذي يَعرض فيما يَعرض له إلىٰ مناهج الإصلاح الأخرىٰ ليُبـيِّـنَ اِنحِرافَها عَن سَابِلةِ الحَقِّ والصَّواب تَحذِيراً لِلمُسلِمِينَ ولِئَلَّا تُستهْلَك الأَزْمِنَةُ والجُهُود فِي غَير طَائِلٍ بَل فِي التَّشغِيب والتَّنفِير وَالمُعَادَاة لِلطَّريق الحقّ.

**❑ سادساً:**

مِن أَقْبحِ وَأَكْذَبِ مَا تفوَّه بِه بعضُ الظَّلَمَة الزَّعم بِأَنَّ مَنهج التَّصفِيةِ وَالتَّربِية قَد تبنَّاهُ سيِّد قُطب وتعلَّقُوا فِي ذلك بِعبَاراتٍ قَد لا يَخْلُو مِنها خطاب مُدَّعٍ لِلإِصلاحِ مَهْما كَان عَرِيقاً فِي الضَّلال ولِهَذا فإِنَّ مِن المُهِمّ تَذكُّر أَنَّ فَاقدَ الشَّيء لا يُعطيهِ فضلاً عن أن يُربِّيَ النَّاسَ عَليهِ وقَدْ قَـال العَلَّامـةُ الأَلْبانِـيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ- عَن سَيِّد قُطْب: «ومنه يتبين لكل قارئ علىٰ شيءٍ مِنَ الثَّقافَةِ الإِسْلامِيَّة أَنَّ سيِّد قُطب لم يكن علىٰ مَعرِفَةٍ بِالإسلامِ بِأَصُولِه وفُرُوعِه».

فَمِثلُ هَذا كَيفَ يكُونُ مِن حَمَلةِ مَنهج التَّصفيةِ والتَّربِية؟!

**□ سابعاً:**

مما ينبغي تذكُّره أنَّ التَّصريحَ بتَعيُّنِ مَنهجِ التَّصفِيةِ والتَّربيةِ طريقًا لتحقيق العُبودِيَّة لله ولإِصْلَاحِ أَمرِ المُسلِمِينَ لا يُبحث بمعزلٍ عَن بيانِ أنَّ المَنهجَ السَّلفيّ وحدَه هُو الَّذي يُمثِّل مَنهجَ أَهلِ الحَدِيث الَّذِي هُو منهجُ الفِرقَة النَّاجِية والطَّائفةِ المَنصُورة الَّتي تَواتَرت الأحاديثُ فِي ذِكرِها والثَّناءِ عَليهَا وهَذِه الطَّائفةُ في هَذا العَصر رؤُوسُهُم -وإن رَغِمَت أُنوف- هُم: الألبانيّ، وابنُ بازٍ، والعُثَيمين، والوادعي، وبديع الدِّين شاه الراشدي، وجميل الرحمن، ومحمد علي الوَلَّوي، ومن سار علىٰ طريقهم، فما هو مَنهَجُهم في الإصلاحِ والدَّعوةِ؟

أَهُو منهجُ خوضِ غِمار السِّياسَة العَصْرِيَّة الطَّاغُوتِيَّة؟!

أَمْ هُو مَنهَجُ الثَّورةِ والقِتَال والانْقِلاب الَّذي سَمَّوهُ إِسْلَامِيًّا؟!

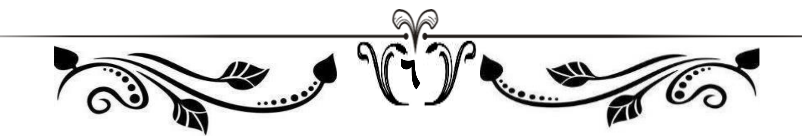
وغيرها مِنَ المَناهِج المُحدثَة الَّتي لم تَزِدِ المُسْلِمِينَ إِلَّا بَلاءً..

بَل مَنهَجُهم هُو منهجُ [التَّصفيةِ والتَّربِيَـة]، مَنهجُ العِلمِ والعَمَلِ والدَّعْوَة.

**□ ثامناً:**

**مِنْ أَسْوإِ مَا ذَكرهُ بَعضُهُم قَوله:**

«المرحلة المكية كلها لم تكن رحلة تربية وتكوين فحسب.. بل كانت رحلة (البحث عن الدولة)، في المدينة صارت للإسلام دولة؛ ومن هنا بدأت رحلة الإسلام، النموذج السائر في التغيير هو؛ فرد ثم مجموعة قوية تمتلك شوكة ثم صراع مع السلطة، ومن خلال السلطة يتغير المجتمع؛ لأن العقدة في هذا الطريق في كون المجتمع لا يستطيع إفراز حكومة تمثله بينما الحكومة تستطيع صنع مجتمع علىٰ نمطها ومنهجها.



وهذا بالضبط هو سبب نقمتهم علىٰ طالبان؛ لا لكونها صوفية، أو أن بها بدع (كذا) ومحدثات، فمهما بلغ ما بها من محدثات لا تبلغ أن تخرجهم من الإسلام».

تَأمَّل هَذِه التَّـقرِيرات الجَازِمَة بِلا أَدْنَىٰ تَأصيلٍ اِستِدلَالِي مَقبُول بَل هُو عَلىٰ طَريقةِ جَعلِ الدَّعوىٰ هِي الدَّلِـيـل وَتَحوِيرِ وتحريفِ السِّيرةِ النَّبوِيَّة لا سِيَّما الهِجرَة المُبارَكَة لِتكُون دَليلًا عَلىٰ الدَّعوىٰ.

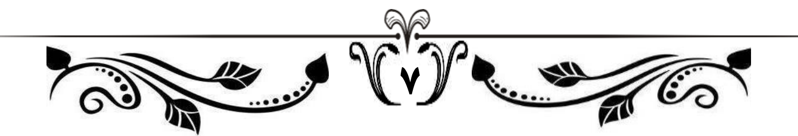
**بَل أَقُول:** هَذا المَنهج الَّذِي اخْتَارَه قريب من مَنهج الانقلاب الإسلامي الذي تبنَّاه المودودي ومنهج العصبة المؤمنة، والقاعدة الصَّلِبة الَّتي تُكفِّرُ الحَاكِم وَتَنقَلِبُ عَليهِ بِثورةٍ مُسلَّحةٍ تَقْضِي عَليهِ وَتُدمِّرهُ وَهُو الَّذي تَبنَّاه سَيِّد قُطب.

وتأمل كيف أنه ليس في كلامهم أي إشـارة إلـىٰ الـدعوة إلـىٰ توحيـد الله بتفصيلٍ والعمل علىٰ نشر التوحيد ونصره عند التمكين لتعلم أن هذا التقريـر لا صلة له بالإسلام الحق الذي بعث الله به رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا بمنهج السلف بل هو منهج ثوريٌّ، انقلابيّ، بِدعِيّ، وإن خادع السـاذجين بشـيءٍ مـن التمسـح بالسنة والسلفية، بل إنهم بذكر نموذج طالبان الذي أثنـوا عليـه وجعلـوه تمـثلاً ناجحًا لمنهجيتهم كأنهم صرَّحُوا بأنهم لا يرفعون بالتوحيد والدعوة إليه وجعله المحور الذي يدور العمل عليه رأسًا لا سيما مع اعترافهم بأن طالبـان صـوفية وبها بدع ومحدثات؛ فعندهم أن دولة الإسلام حقًا قد تكـون صـوفيةً بهـا بـدع ومحدثات ولكن شرطها أن لا تخرج من الإسلام!!

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٠٨﴾[1].

---

(١) سورة يوسف؛ الآية (١٠٨).

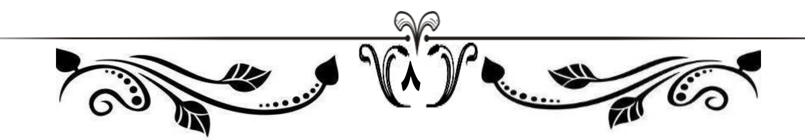


**قال الحافظ ابن كثير -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في تفسيره:**

«يقول الله -تعالىٰ- لعبده وَرَسُولِهِ إِلَىٰ الثَّقَلَيْنِ؛ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، آمِرًا لَهُ أَنْ يُخْبِرَ النَّاسَ: أَنَّ هَذِهِ سَبِيلُهُ، أَيْ طَرِيقُهُ وَمَسْلَكُهُ وَسُنَّتُهُ، وَهِيَ الدَّعْوَةُ إِلَىٰ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، يَدْعُو إِلَىٰ اللهِ بِهَا عَلَىٰ بَصِيرة مِنْ ذَلِكَ، وَيَقِينٍ وَبُرْهَانٍ، هُوَ وَكُلُّ مَنِ اتَّبَعَهُ، يَدْعُو إِلَىٰ مَا دَعَا إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ علىٰ بَصِيرَةٍ وَيَقِينٍ وَبُرْهَانٍ شَرْعِيٍّ وَعَقْلِيٍّ».

**وأما زعمه:** «**أن المرحلة المكية كلها لم تكن رحلة تربية وتكوين فحسب.. بل كانت رحلة البحث عن الدولة**» فهذا كذب علىٰ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وعلىٰ سيرته.

«ظلّ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو إلىٰ التوحيد الخالص؛ وهذا أمر معلوم، لكن ليس معنىٰ هذا أنه لم يكن يدعو إلا إلىٰ التوحيد فقط، بل كان يدعو إلىٰ صدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، والنهي عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، إلاّ أن تركيزه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ علىٰ الجانب العقدي كان أكثر. والحق أن التركيز علىٰ الجانب العقدي في غاية الأهمية؛ لأنّ الإيمان إذا وقر في القلب انتفت جميع الشوائب المؤدية إلىٰ زعزعة الإيمان، وقد آتت دعوة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ المكية وتركيزه علىٰ الجانب العقدي ثمارها يلحظ من قرأ تاريخ حروب الردة التي أعقبت وفاة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فلم نجد أحداً ارتدَّ من المُهاجرين والأنصار أبداً، وما ذلك إلا لرسوخ الإيمان في قلوبهم -رضوان الله عليهم أجمعين-.



وعلىٰ هذا فالواجب علىٰ الدعاة اليوم غرس العقيدة الصحيحة في النفوس أولاً مع الاهتمام أيضاً بالجوانب الأخرىٰ التي مرّ ذكرُها آنفاً.

وعندما يُركِّز الداعية اهتمامه علىٰ الجانب العقدي، فلا بد أن يدرك معنىٰ قول المصطفىٰ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلا إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً؛ إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ؛ أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ**».

والحقّ أنّ تلك المضغة إذا وقر الإيمان فيها، منعت صاحبها من الوقوع في الفواحش بأنواعها».

**وقال أبو العباس ابن تيمية - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في الجواب الصحيح:**

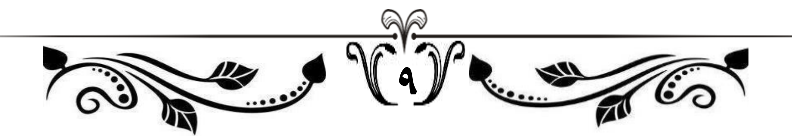
«مَعْلُومٌ أَنَّ اللهَ وَعَدَ بِإِظْهَارِهِ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ ظُهُورَ عِلْمٍ وَبَيَانٍ وَظُهُورَ سَيْفٍ وَسِنَانٍ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٣٣**﴾[1].

وَقَدْ فَسَّرَ الْعُلَمَاءُ ظُهُورَهُ بِهَذَا وَهَذَا، وَلَفْظُ الظُّهُورِ يَتَنَاوَلُهُمَا، فَإِنَّ ظُهُورَ الْهُدَىٰ بِالْعِلْمِ وَالْبَيَانِ، وَظُهُورَ الدِّينِ بِالْيَدِ وَالْعَمَلِ، وَاللهُ تَعَالَىٰ أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ؛ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ ظُهُورَ الْإِسْلَامِ بِالْعِلْمِ وَالْبَيَانِ قَبْلَ ظُهُورِهِ بِالْيَدِ وَالْقِتَالِ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُظْهِرُ الْإِسْلَامَ بِالْعِلْمِ وَالْبَيَانِ وَالْآيَاتِ وَالْبَرَاهِينِ، فَآمَنَتْ بِهِ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ طَوْعًا وَاخْتِيَارًا بِغَيْرِ سَيْفٍ لِمَا بَانَ لَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ وَالْبَرَاهِينِ وَالْمُعْجِزَاتِ، ثُمَّ أَظْهَرَهُ بِالسَّيْفِ».

---

(١) سورة التوبة؛ الآية (٣٣).



**وأخرج أحمد عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ:** كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَىٰ النَّاسِ بِالْمَوْقِفِ فَيَقُولُ: «هَلْ مِنْ رَجُلٍ يَحْمِلُنِي إِلَىٰ قَوْمِهِ، فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي»، فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ هَمْدَانَ فَقَالَ: «مِمَّنْ أَنْتَ؟» فَقَالَ الرَّجُلُ: مِنْ هَمْدَانَ قَالَ: «فَهَلْ عِنْدَ قَوْمِكَ مِنْ مَنَعَةٍ؟» قَالَ: نَعَمْ، ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ خَشِيَ أَنْ يَخفِرَهُ قَوْمُهُ، فَأَتَىٰ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: آتِيهِمْ، فَأُخْبِرُهُمْ، ثُمَّ آتِيكَ مِنْ عَامٍ قَابِلٍ، قَالَ: «نَعَمْ»، فَانْطَلَقَ وَجَاءَ وَفْدُ الْأَنْصَارِ فِي رَجَبٍ»[1].

**وفي تحفة الأحوذي للمباركفوري:**

«(كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْرِضُ نَفْسَهُ) أَيْ عَلَىٰ النَّاسِ (بِالْمَوْقِفِ) أَيْ بِالْمَوْسِمِ (يَحْمِلُنِي إِلَىٰ قَوْمِهِ) أَيْ لِأُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي».

فسَعْيُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما كان؛ ليجد من يمنعه ويحميه؛ حتىٰ يُبلِّغ كلام ربه ودعوة ربه وتوحيد ربه؛ لا لينصب نفسه حاكمًا عليهم، ولهذا لما أراده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهل مكة علىٰ أن ينصبوه ملكًا عليهم بشرط أن يُمسك عن دعوة التوحيد التي جاء بها صمم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ دعوته لأنه علىٰ يقينٍ من ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

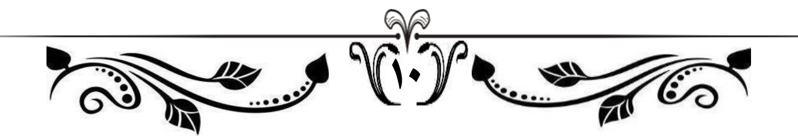
**وقوله:** «في المدينة صارت للإسلام دولة، ومن هنا بدأت رحلة الإسلام».

**أقول:** بل رحلة الإسلام المباركة بدأت منذ نزل الوحي علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكأنه لا وجود لرحلة الإسلام ودعوته عند هؤلاء إلا بالدولة وهو نوع من الفكر الخارجي -والله أعلم-.

---

(١) مسند أحمد ٢٣/ ٣٧٠ برقم (١٥١٩٢).



وقوله: «النموذج السائر في التغيير هو؛ فرد ثم مجموعة قوية تمتلك شوكة ثم صراع مع السلطة، ومن خلال السلطة يتغير المجتمع».

كلامٌ فاسدٌ؛ لأنه مجرد دعوىٰ!

وهي دعوىٰ علىٰ طريقة الخوارج..

وما أقربها إلىٰ منهج القاعدة وأسامة بن لادن..

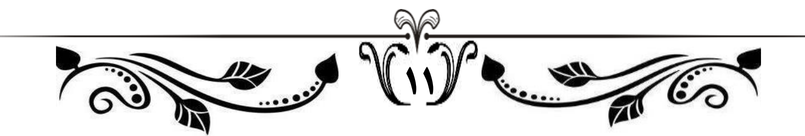
وقوله: «النموذج السائر لا وزن له لأن الحق لا عبرة فيه بالشيعوعة والانتشار الذي قد يشمل حتىٰ المناهج الماركسية اللينينية والعصابات اليهودية».

ثم إنه لم يُحدد ما دين السلطة التي سيتصارع معها ليكون كلامه شاملاً للسلطة التي دينها الإسلام؛ وإن لم تحكم به في جميع أبواب الدين، وعليه فهذه هي الخارجية والداعشية عينها! وهي إعلان الحرب علىٰ المسلمين؛ وما أقر أعين أعداء الإسلام بمثل أصحاب هذا الفكر.

وقوله: «ومن خلال السلطة يتغير المجتمع؛ لأن العقدة في هذا الطريق في كون المجتمع لا يستطيع إفراز حكومة تمثله بينما الحكومة تستطيع صنع مجتمع علىٰ نمطها ومنهجها».

وهذا صريحٌ في أنهم يعتمدون طريق التغيير من القمة لا من القاعدة؛ وبالقتال والصراع فحسب!

ومعنىٰ ذلك أنهم لا يرفضون منهج التصفية والتربية وحده بل يرفضون طريقة خوض المعترك السياسي الطَّاغُوتي المعاصر.



وما أدري بماذا يحكمون علينا نحن السلفيين وبماذا يحكمون كذلك علىٰ أصحاب المنهج السياسي المعاصر؟ أرجوا أن لا يرونا كفاراً!!

وتغيير المجتمع عبر تغيير الحكومة مع كونه أمراً محدثـًا ومنحرفـًا؛

فقد أثبت الواقع فشله في تجربة الإخوان الذين حكموا السُّودان ثلاثين سنة!

ثم إن تضخيم أمر الدولة وأنها الغاية من سعي النبي -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- قاد أُناسـًا إلىٰ الحكم بالفشل علىٰ دعوات الأنبياء لأنهم لم يُقيموا دولة؛ فتأمل خطورة هذا المنحنىٰ الخطير.

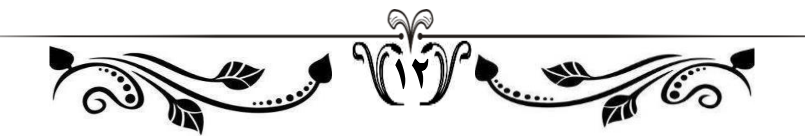
**قَالَ أَحدُ البَاحِثِينَ -جَزاهُ اللَّهُ خَيرًا-:**

«إنَّ القرآن الكريم مليء بقصص الأنبياء، وأخبارهم مع أقوامهم، ونتائج دعوتهم وأعمالهم، علىٰ وجه التفصيل والتكرار، ومدار ذلك كلِّه علىٰ هذه الأمور الكلية التي ذكرناها، وجماعها:

١- الدعوة إلىٰ التوحيد ونفي الشرك.

٢- البلاغ المبين حتىٰ تقام الحجَّة علىٰ الخلق.

ولم يخبرنا الله تعالىٰ قطُّ -لا بالنصِّ الصريح، ولا بالإشارة والتَّلميح- أنَّه بعث رُسله، وأنزل كُتبه؛ لإقامة (الحكومة الإلهية)، أو بناء (المجتمع الفاضل)، أو (عمارة الأرض)، أو (تأسيس المدينة الفاضلة)، أو (إرساء العدالة الاجتماعية)، و(توزيع الثروات)، و(القضاء علىٰ الطبقيَّة في المجتمع)، إلىٰ غير ذلك من المفاهيم التي يزعم الفلاسفة والمفكرون الإسلاميون أنها هدف الرسالة وغايتها!



نعم؛ لا شكَّ أنَّ شريعة الله -عَزَّوَجَلَّ- كفيلة بإقامة العدل، حتَّىٰ يكون الناس أقرب إلىٰ الحقِّ، والخير، فيقوموا بالغاية التي خلقهم الله -تعالىٰ- من أجلها، وهي عبادته، «ولا يتصوَّر شرعٌ فيه صلاحُ الآخرة دون الدُّنيا، فإن الآخرة لا تقوم إلا بأعمال في الدنيا مُستلزمةٌ لِصلاح الدنيا»؛ فهذا من مقصود الرسالة بالتبعيَّة لا بالأصالة، وهو داخل في كمال الشريعة وشموليتها. ورغم هذا؛ فإنَّ هذه الحياة الدنيا لا يمكن أن يقام فيها العدل المطلق، ولا الحق المطلق، ولا الخير المطلق، ولا (المدينة الفاضلة) بتصورات الفلاسفة المثالية الخيالية، لأنها دار ابتلاء واختبار وامتحان، وأهلها مبتلون بعضهم ببعض بما جعل الله -تعالىٰ- بينهم من التفاوت في العلم والعمل والقوة والسلطة والمال والجاه، وبما يقع من بعضهم علىٰ بعض من الظلم والبغي والفساد، وبما جعل فيها من الأمراض والأوجاع والآلام والنقص والآفات، كلُّ ذلك ابتلاءً منه سبحانه وامتحانًا، كما قال -سبحانه-: ﴿تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾[(١)] . وقال-تعالىٰ-: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ۝١٦٥﴾[(٢)]. وقال-تعالىٰ-: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ﴾[(٣)]. وقال-تعالىٰ-:﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ﴾[(٤)]. وقال-تعالىٰ-: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[(٥)].

(١) سورة الملك؛ الآيتان (١، ٢).

(٢) سورة الأنعام؛ الآية (١٦٥).

(٣) سورة الفرقان؛ الآية (٢٠).

(٤) سورة محمد؛ الآية (٤).

(٥) سورة النحل؛ الآية (٧١).

والآيات في هذه المعاني كثيرة، فإقامة المجتمع المثالي أو المدينة الفاضلة في هذه الحياة الدنيا محالٌ، لكن يتحقَّق من ذلك بحسَبِ ما يحقِّق المؤمنون الصالحون منه في أنفسهم ومجتمعهم، ومهما يفعلوا فهم الأقلُّون دائمًا بين الناس كما أخبر الله -تعالىٰ-: ﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ**﴾[1]، ﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[2]، ﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾[3]، ﴿**وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ**﴾[4]، ﴿**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا**﴾[5].

أمَّا ما ورد عن الخلافة الراشدة التي سيقيمها المهديُّ علىٰ منهاج النبوَّة -وهو في اعتقاد أهل الإسلام والسنة لا وجود له اليوم، وإنما سيولد في العصر الذي سيظهر فيه، وينشأ مثل سائر البشر، ويتميَّز بالعلم والصلاح والتقوىٰ، فيبايعه المسلمون، ويجمع الله تعالىٰ عليه كلمتهم-؛ فذلك من علامات آخر الزمان، ودولته إيذانٌ بتتابع أَمارات السَّاعة الكبرىٰ، مثل ظهور المسيح الدجَّال، ونزول عيسىٰ -عليه الصلاة والسلام-، فلا بدَّ أن يكون الاعتقاد في المهديِّ مقتصرًا علىٰ ما جاءت به الأحاديث الصحيحة الصريحة، فجعله تفسيرًا للغاية التي خلق الله -تعالىٰ- الناس من أجلها، أو تفسيرًا لحقيقة النبوة والرسالة ومقاصدها؛ تكلُّفٌ وغلوٌّ، وقول علىٰ الله -تعالىٰ- بغير علمٍ.

---

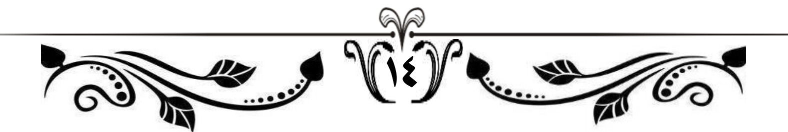
(١) سورة البقرة؛ الآية (٢٤٣).

(٢) سورة الأعراف؛ الآية (١٨٧).

(٣) سورة التوبة؛ الآية (٣٣).

(٤) سورة يوسف؛ الآية (١٠٣).

(٥) سورة هود؛ الآية (١٧).



ثم إنَّ العدل المطلق لا يقيمه بين الناس إلا الحَكَمُ العَدْلُ سبحانه يومَ الحساب والجزاء، والخير المطلق محلُّه جنَّة النعيم، وأهلها هم أهل المدينة الفاضلة، الطيِّبة الطَّاهرة، الخالية من الشُّرور والمفاسد والمظالم: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ۝٧٣ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ۝٧٤﴾[1]، ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ۝٤٥ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ۝٤٦ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝٤٧ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ۝٤٨﴾[2].

إن هذه المفاهيم القرآنية القطعيَّة تقودنا إلىٰ القول بأنَّ جميع الأنبياء والمرسلين -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قد بلَّغوا الرسالة، وأدَّوا الأمانة، ونجحوا في مُهمَّتهم أتمَّ النجاح، يستوي في ذلك من لم يقبل دعوته أحدٌ، ومن قبل دعوته أُممٌ كثيرة من الناس لأنَّ المعيار القرآني في النجاح هو (البلاغ المبين)، وقد فعلوه، عليهم الصلاة والسلام، وإن كانت نتائج دعوتهم متفاوتة مختلفة كما قال النبي ﷺ، قال: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي فَقِيلَ لِي هَذَا مُوسَىٰ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَوْمُهُ وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَىٰ الْأُفُقِ فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ فَقِيلَ لِي انْظُرْ إِلَىٰ الْأُفُقِ الْآخَرِ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ فَقِيلَ لِي هَذِهِ أُمَّتُكَ...**»[3].

---

(١) سورة الزمر؛ الآيات (٧٣ – ٧٤).

(٢) سورة الحجر؛ الآية (٤٥ – ٤٨).

(٣) صحيح مُسلم ١/ ٤٩٤ برقم (٣٢٣).

إن القول بأنَّ مُهمة الرسل هي إقامة الحكومة العادلة والمدينة الفاضلة؛ هو قول غلاة الفلاسفة -كما تقدَّم-، وهو ما عبَّر عنه سيد قطب بالخلافة في الأرض، أما المودودي فقد كان أكثر صراحة ووضوحًا في بيان الغاية من النبوة والرسالة، حيث قال:

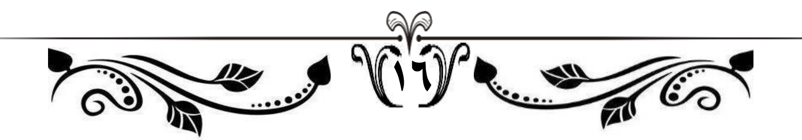
«إن الله قد أراد ببَعْثِهم أن يقيم في العالم نظام العدالة الاجتماعية ***Justice Social*** علىٰ أساس ما أنزله عليهم من البيِّنات، وما أنعم عليهم في كتابه من الميزان، **أي**: نظام الحياة الإنسانية العادل».

**وَقَـالَ:**

«ولتشييد هذه الحضارة والمدنيَّة في الأرض أرسل الله تعالىٰ رُسُله تترىٰ».

**وقال المودودي أيضًا**: «لأجل ذلك؛ ما زالت الغايةُ المنشودةُ من رسالة أنبياء الله -عليهم السلام- في هذه الدُّنيا أَنْ يُقيمُوا فيها الحكومةَ الإسلاميةَ، وينفِّذُوا بها ذلك النِّظامَ الكاملَ للحياة الإنسانيَّة الذي جاؤوا به من عند الله.

وهؤلاء كانوا قد يسمحون لأهل الجاهليَّة بأَنْ يبقوا علىٰ عقائدهم السابقة، ويتَّبِعوا طرائقَهم الجاهليَّة ما دامتْ آثارُ أعمالهم منحصِرةً في أنفسهم، ولكنَّهم لم يكونوا ليُبيحوا لهم -ولا كان يسعهم ذلك طبعًا- أَنْ تبقَىٰ مقاليدُ السُّلطة والحكم بأيديهم ليديروا شؤون الحياة الإنسانيَّة علىٰ قواعد الجاهليَّة، ولذلك قد سعَىٰ كلُّ نبيٍّ وكلُّ رسولٍ لإحداث الانقلاب السياسيِّ حيثما بُعِثَ،...».



إن من المعلوم بالضرورة عند أهل الإسلام -ومن قبلهم أهل الكتاب- أنَّ أكثر الأنبياء والمرسلين لم يُحدثوا انقلابًا سياسيًّا، ولا أقاموا حكومة، ولا أسسوا دولة، وأن الرسل الذين جمع الله -تعالىٰ- لهم بين النبوة والملك قلة قليلة نادرة، مثل: داود وابنه سليمان -عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ-.

وقد صحَّ أن الله -تعالىٰ- خيَّر محمد بن عبد الله -وهو خاتم النبيِّين، وإمام المرسلين، صلىٰ الله وسلَّم عليهم أجمعين- بين أن يكون مَلِكًا نبيًّا، أو عبدًا رسولًا، فقال -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-: «**بل عبدًا رسولًا**».

ومن هنا فإن لازم الدَّعوىٰ بأن الغاية من إرسالهم (الانقلاب السياسي) وإقامة (الحكومة الإسلامية) -كما زعم المودوديُّ-؛ هو أنَّهم أخفقوا في تحقيق غاية بعثتهم، وفشلوا في بلوغ هدف رسالتهم؛ إما لضعفهم وعجزهم، وإما لتقصيرهم وتفريطهم. هذا اللازم لا مفرَّ منه بضرورة العقل، لهذا التزمه المودوديُّ، لكنَّه تلطَّف في العبارة في رمي الرُّسل بهذه النقيصة، **فقال في تمام كلامه السابق:**

«ولذلك قد سعَىٰ كلُّ نبيٍّ وكلُّ رسولٍ لإحداث الانقلاب السياسيِّ حيثما بُعِثَ؛ فمنهم من اقتصرتْ مساعيه علىٰ تمهيدِ السَّبيل، وإعداد العُدَّة، كإبراهيم -عَلَيْهِٱلسَّلَامُ-، ومنهم مَنْ أخَذَ فعلًا في الحركة الانقلابيَّة ولكن انتهتْ رسالتُه قبل أَنْ تقومَ علىٰ يديه الحكومةُ الإلهيَّة؛ كعيسىٰ -عَلَيْهِٱلسَّلَامُ-، ومنهم مَنْ بَلَغَ بهذه الحركة منازلَ الفَوْزِ والنَّجاح؛ كموسىٰ -عَلَيْهِٱلسَّلَامُ-، وسيدنا محمد ﷺ».

هذا اللازم قد التزمه -أيضًا- الخمينيُّ، وكان أكثر جرأةً وصراحةً، فقد ألقىٰ عن نفسه جلباب التقيَّة، وتجرَّأ -وهو في نشوة انتصار ثورته- علىٰ ما لم يتجرَّأ عليه غيره، فقال بصريح العبارة:

«كلُّ نبيٍّ من الأنبياء إنما جاء لإقامة العدل، وكان هدفُه هو تطبيقه في العالم، لكنَّه لم ينجح، وحتىٰ خاتم الأنبياء -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- الذي كان قد جاء لإصلاح البشر وتهذيبهم وتطبيق العدالة؛ فإنَّه هو -أيضًا- لم يُوفَّق، وإنَّ مَن سينجحُ بكلِّ معنىٰ الكلمة، ويُطبِّق العدالة في جميع أرجاء العالم: هو المهديُّ المنتظر». https://csiislam.org/article_single.id?php=66

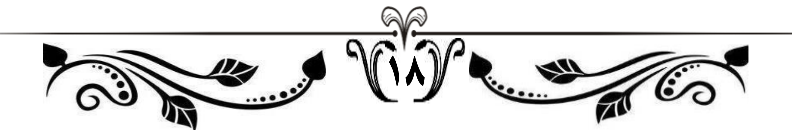
ثم زعمه: «أن المجتمع لا يستطيع إفراز حكومة تمثله» مراده به أن صلاح المجتمع لن يُنتج حكومة صالحة!

فالحكومة والوصول إليها هي عقدة القوم ومربط الفرس عندهم بينما المصلحون حقًا هَمُّهم أن يهتديَ الناس إلىٰ الدين الحق وأن يُوحِّدوا ربَّهم ويعبدوه ويستقيموا علىٰ شرعه ودينه.

ومن رحمة الله أنهم متىٰ حققوا ذلك حصل لهم التمكين لدينهم -كما سيأتي- قَالَتَعَالَىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥﴾[١].

---

(١) سورة النور؛ الآية (٥٥).



ففي الآية أنه يكون تمكين الدين في القلوب قبل أن يكون في ترتيب أمـور الحياة وتدبيرها، فمَن كان طالبًا له لأمته فليُحقِّقهُ أولًا في نفسه قولًا وعملًا.

فمن فضل الله -تعالىٰ- وكرمه علىٰ عباده أن جعل لهـم حقًّـا عليـه بـأن يُعزَّهم ويحفظهم ويحميهم ويمكِّن لهم، متىٰ ما وحَّدوه وعبدوه.

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في مجموع الفتاوى (١٨/٣٠٣):**

«وَكَذَلِكَ قَوْله -تَعَالَىٰ-: ﴿**وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ**﴾. فَهَذَا الْوَعْدُ مُنَاسِبٌ لِكُلِّ مَنِ اتَّصَفَ بِهَذَا الْوَصْفِ. فَلَمَّا اتَّصَفَ بِهِ الْأَوَّلُونَ اسْتَخْلَفَهُمْ اللهُ كَمَا وَعَدَ.

وَقَدِ اتَّصَفَ بَعْدَهُمْ بِهِ قَوْمٌ بِحَسَبِ إيمَانِهِمْ وَعَمَلِهِمْ الصَّالِحِ. فَمَنْ كَانَ أَكْمَلَ إيمَانًا وَعَمِلَ صَالِحًا كَانَ اسْتِخْلَافُهُ الْمَذْكُورُ أَتَمَّ.

فَإِنْ كَانَ فِيهِ نَقْصٌ وَخَلَلٌ كَانَ فِي تَمْكِينِهِ خَلَلٌ وَنَقْصٌ.

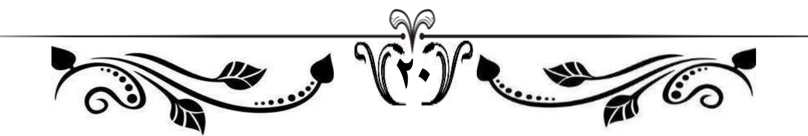
وَذَلِكَ أَنَّ هَذَا جَزَاءُ هَذَا الْعَمَلِ فَمَنْ قَامَ بِذَلِكَ الْعَمَلِ اسْتَحَقَّ ذَلِكَ الْجَزَاءَ».

**وقال الشيخ العلامة ابن باز -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في فتاويه (١/٤٠٨):**

«ولهذا قال الإمام مالك بن أنس إمـام دار الهجـرة في زمانـه -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- كلمة عظيمة وافقه عليها أهل العلم قاطبة، وهي قوله: «لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها»، ومراده بذلك أن الذي أصلح أولها هو التمسك بكتاب الله وسنة رسوله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والسير علىٰ تعاليمهما، والحذر مما خالفهما، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا هذا الأمر الذي صلح بـه أولهـا، ولقـد صـدق في

ذلك -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- فإن الناس لما غيروا وبدلوا واعتنقوا البدع وأحدثوا الطرق المختلفة تفرقوا في دينهم، والتبس عليهم أمرهم وصار كل حزب بما لديهم فرحون وطمع فيهم الأعداء، واستغلوا فرصة الاختلاف وضعف الدين، واختلاف المقاصد، وتعصب كل طائفة لما أحدثته من الطرق المضلة، والبدع المنكرة حتىٰ آلت حال المسلمين إلىٰ ما هو معلوم الآن من الضعف والاختلاف وتداعي الأمم عليهم، فالواجب علىٰ أهل الإسلام جميعا هو الرجوع إلىٰ دينهم والتمسك بتعاليمه السمحة وأحكامه العادلة، وأخذها من منبعها الصافي: الكتاب العزيز والسنة الصحيحة المطهرة، والتواصي بذلك، والتكاتف علىٰ تحقيقه في جميع المجالات التشريعية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية وغير ذلك، والحذر كل الحذر من كل ما يخالف ذلك أو يفضي إلىٰ التباسه أو التشكيك فيه، وبذلك ترجع إلىٰ المسلمين عزتهم المسلوبة، ويرجع إليهم مجدهم الأثيل وينصرهم الله علىٰ أعدائهم ويمكن لهم في الأرض كما قال -عَزَّوَجَلَّ-: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ﴾».

وما ذكرته لا يمنع أن يتواصل السلفيون مع الدول القائمة ويعملوا علىٰ التأثير عليها ومناصحتها بالطرق الشرعية ويستفيدوا من كل دعمٍ يُمكن أن تقدمه لهم من غير تنازل عن شيءٍ من الدين.



**□ تاسعاً:**

هذا المقال لا يهدف إلىٰ تفصيل القول في مجالات التصفية والتربية وأهلهما ومقوماتهما إلىٰ غير ذلك من المباحث التي تكفلت بها كتب عدة من أهمها:

١- كتاب التصفية والتربية وحاجة المسلمين إليهما للإمام الألباني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-.

٢- كتاب التصفية والتربية وأثرهما في استئناف الحياة الإسلامية للشيخ علي الحلبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في طبعته الأخيرة.

بل يهدف إلىٰ بيان تَعيُّن هذا المنهج طريقًا أوحدَ للإصلاح.

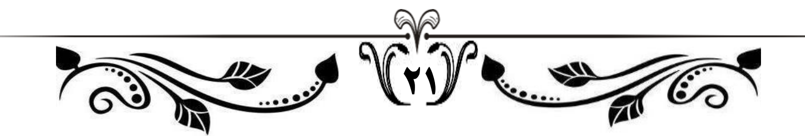
وأُذكِّر هنا أن منهج ومشروع [التصفية والتربية] يتطلب جُهوداً كبيرةً واجتهاداً عظيماً وتعاوناً بين أهل الإسلام بعيداً عن الحزبية والمصلحة الشخصية.

**قال الشيخ الألبانيُّ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:** «لذلك العملية كما يقولون عندنا في الشام: تريد هز أكتاف يعني: تريد عمل..

تريد جهادًا طويل الأمد جِدّا ومدارهما علىٰ هاتين الكلمتين السابقتين: العلم النافع والعمل الصالح. (الهدىٰ والنور / ٣٤٠/ ٠٨: ٠١: ٠٠)».

**□ عاشراً:**

صياغة لقب طريق المنهج السلفي في الإصلاح بـ[التصفية والتربية] قد يكون المتفرد به هو الشيخ الألباني لكن مضمون هذا المنهج مما تطابق عليه العلماء ويا حبذا لو انبرىٰ باحث لجمع كلام العلماء في ذلك.



سأكتفي بنقلٍ واحدٍ عن إمامٍ كبير وهو الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيىٰ المُعلِّمي اليماني في تقريظه لكتاب فضل الله الصمد حيث قال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

«الحمد لله وحده، وصلىٰ الله علىٰ خاتم أنبيائه محمد وآله وصحبه وسلم.

قد أكثر العارفون بالإسلام المخلصون له من تقرير: أن كل ما وقع فيه المسلمون من الضعف والخور والتخاذل، وغير ذلك من وجوه الانحطاط إنما كان لبعدهم عن حقيقة الإسلام. وأرىٰ أن ذلك يرجع إلىٰ أمــور:

❐ **الأول:** التباس ما ليس من الدين بما هو منه.

❐ **الثاني**: ضعف اليقين بما هو من الدين.

❐ **الثالث**: عدم العمل بأحكام الدين.

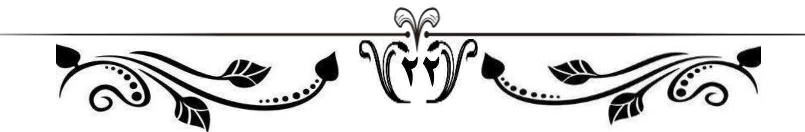
وأرىٰ أن معرفة الآداب النبوية الصحيحة في العبادات والمعاملات، والإقامة والسفر، والمعاشرة والوحدة، والحركة والسكون، واليقظة والنوم، والأكل والشرب، والكلام والصمت، وغير ذلك مما يعرض للإنسان في حياته، مع تحري العمل بها كما يتيسر = هو الدواء الوحيد لتلك الأمراض».

**كَـتَـبَـهُ:**

**أبو محمد حسن بن حامد -نزيل قرية الشيخ عبد الإله- ريفي سمالوط – محافظة المنيا**

**١٢ ربيع الثاني ١٤٤٥هـ**

**٢٧ أكتوبر ٢٠٢٣**





# مقالةٌ عنِ التَّصفيةِ والتَّربيةِ

إِنَّ الحَمْدَ لله نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُه، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَه وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَه، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَه، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُه.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾[1].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾[2]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[3]

أَمَّا بَعْدُ:

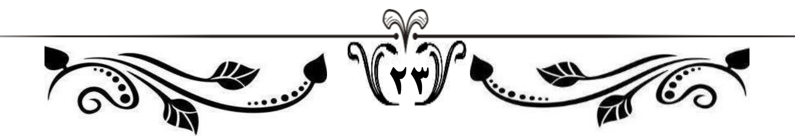
فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَة، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَة، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارْ.

أَمَّا بَعْدُ، فإن واقع المُسلمين الذي يَعيشُونهُ منذُ عقُود واقع أليمٌ ومرير، بل هُو واقعٌ يُقلقُ النُّفوس ويجعلها تَذهبُ حَسرات وذلك أنَّ المُسلمينَ قد فَتكتْ بِهم أمراضٌ شتَّىٰ مِن نَاحيةِ العَقيدة والتَّوحِيد، ومن ناحية العبادات ومن ناحية الأخلاق ومِن نَاحِية المنهج، ومن ناحية السِّياسَة، ومن نَاحية أَوضَاعِهم

(١) سورة آل عمران الآية (١٠٢).

(٢) سورة النساء الآية (١).

(٣) سورة الأحزاب الآيات (٧٠، ٧١).

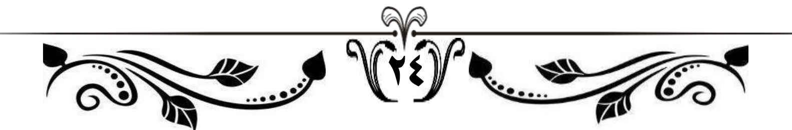


الاجتماعِيَّة، وأَفرزَ ذَلِك كُلُّه أنواعـًا وصُوراً شتَّىٰ مِـن الـذُّلّ، ومِـن جُملـةِ هـذهِ الصُّور والأَنواع مِن الذُّل؛ أنَّهُ تَحكَّـم في مَصـائِرِهِم -إلَّا مَـن رَحِـمَ اللهُ مِـنهُم-، تَحكَّمَ فـي مَصائِرِهِم وأذاقهم وسَامَهُمْ أَلوانَ العَذابِ والهَـوانِ والـذُّل أَعداءُ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- حَتَّىٰ صَـار كَثيـرٌ مِـنَ المُسـلِمِين لا يَسـتَطيعُون أَنْ يَقْطَعُـوا في أُمُورِهم الخَاصَّة، بَل يقطعُ في أُمُورِهم الخَاصَّة وَيُحرِّكُها كَمـا يَشَـاءُ أَعـدَاؤُهُم، وهَذِهِ الأَوضَاعُ المَريرَة الَّتِي ذكرتُ بعضَها حَفَزَتْ أُنَاسـًا مِمَّن يُرِيدُونَ الإِصْلَاح إِلَىٰ أن يَعملُوا عَلىٰ إصلَاحِ وَاقِع المُسلِمِين، ثُمَّ إِنَّهُم اعْتَمدُوا في هَذا الإِصْـلَاح مَناهِجَ شَـتَّىٰ، وسَـأَعرِضُ -إن شَـاء اللهُ تَعَـالىٰ- إِلـىٰ بَعـضِ هـذه المنـاهج في الإصلاح مع ذِكرِ المِنهاجِ الأوحد الكفيل بإزالة هذا الذُّل وهـذا الهَـوان الَّـذِي جَثَمَ علىٰ صُدورِ المُؤمِنينَ رَدْحـًا مِنَ الزَّمَان، وسَيكُونُ أكثرَ كَلامي -إن شاء الله تعالىٰ- مُستفَاداً مِن تَقريرَاتٍ لِعُلمَاء وَلطَلبةِ عِلمٍ نُبهَاء أسهَمُوا في الإِشَـارَة إِلَـىٰ مَوطِنِ الخَلَلِ، وَإِلَىٰ مَوطِنِ الأَمْرَاضِ وَالعِلَلْ، وَإِلىٰ السَّبيل، وإِلىٰ بَيـان الـدَّواء الشَّافِي الَّذي يُزِيلُ هَذِه الأَمرَاض، وَيَنْبَغِي أَن نَعلَمَ أَنَّ الإِصْلَاحَ هُو مُهِمَّةُ وَوظِيفَةُ الأَنبِيَاءِ -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ- كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ عَنْ شُعَيبٍ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- قَـالَ: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨﴾[1]، والإصلاحُ سمةُ المجتمع المسلم والمَشروع المفتوح والمستمر وهو من أسباب سلامته من الهلاك قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ١١٧﴾[2].

---

(١) سورة هود، الآية (٨٨).

(٢) سورة هود، الآية (١١٧).



ثُمَّ إِنَّ المُفْسِدِينَ حَاوَلُوا أَنْ يَخْتَطِفُوا هَذَا الإِصْلَاحَ الَّذِي هُو مَقْصَدٌ لِكُلِّ العُقَلَاء؛ حَتَّىٰ إِنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- أَخْبَرَ عَنْ فِرْعَونَ؛ أنه قَال: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ۝٢٦﴾[1]، فَفِرْعَونُ يَدَّعِي هُنَا أَنَّه مُصْلِح، وَأَنَّ مَنْ سِوَاهُ مُفْسِد، فَعَلَيْكَ أَيُّها المُسْلِم إِذَا تَبيَّنْتَ طَرِيقَكَ الَّذي قَامَتْ عَلَيهِ الأَدِلَّةُ وَسَارَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ أَلَّا تَعْبَأَ بِمُخَالِفِيكَ مِنَ الظَّلَمَة الَّذِينَ يَرْمُونَ مَسْلَكَكَ بِأَنَّهُ غَايَةُ الفَسَاد، وَأَنَّهُ لَيْسَ طَرِيقًا لِلْإِصْلَاحِ، وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- عَنِ المُنَافِقِينَ أَنَّهُم يَدّعون أَنّهم مُصْلِحُون، وَأَنَّهُم لَا يُرِيدُونَ سِوَىٰ تَحْقِيقِ الإِصْلَاح قَالَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١﴾[2] فَالمِيزَانُ الَّذِي يُمَيِّزُ بَيْنَ صَاحِبِ الحَقِّ، وَبَيْنَ مُدَّعِي الإِصْلَاحِ بِالبَاطِلِ؛ هُو القُرآنُ والسُّنَّة، هُوَ الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-، يَقُولُ رَبُّنَا -عَزَّوَجَلَّ-: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٢٢٠﴾[3]، وَيَقُولُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٦﴾[4].

---

(١) سورة غافر، الآية (٢٦).

(٢) سورة البقرة، الآية (١١).

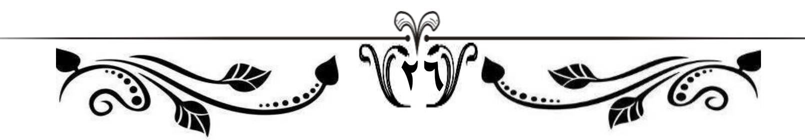
(٣) سورة البقرة، الآية (٢٢٠).

(٤) سورة الأعراف، الآية (٥٦).

وَعَليهِ فَحِينَما نَنْطَلِقُ نَحْنُ فِي الإِشَارَةِ إِلَىٰ مَشَارِيعِ الإِصْلَاح، وَإِلَىٰ بَيَانِ المَشْرُوعِ الأَوْحَد الَّذِي يَنْبَغِي اعْتِمَادُهُ، والالْتِفَافُ حَوْلَهُ وَالسَّعْيُ لِتَحْقِيقِهِ فَيَنْبَغِي أَنْ نَنْطَلِقَ مِنْ كِتَابِ رَبِّنَا وَمِنْ سُنَّةِ نَبِيِّنَا -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَمِنْ مَنْهَجِ سَلَفِنَا.

وليُعلم أنَّ الفتنَ الَّتي أَصابَتِ المُسلمينَ؛ ومنها فِتنةُ العَمَالَة لِلْغَرب واسْتِيرادِ المَناهج العَلمَانيّة واللِّيبْرَاليَّة والعَملِ عَلَىٰ نَشْرِهَا بَينَ المُسْلِمِين ومَا ثَار مِن ثَوراتٍ واضطِرَاباتٍ أَثَّرت فِي مَواقف كثيرٍ مِمَّن كَانُوا عَلىٰ الجَادَّة فانحرفوا ذَاتَ اليمين وذات الشِّمال واسْتَحسَنُوا مَا كَانُوا يَستقبِحُونه وتقبَّلُوا ما كَانُوا يَرفُضُونه وصَار أَمْرُهم فُرطًا وهَذا مِن الدَّوافِع لِتقرِير الحقِّ بِبيَان مَنهَج الإصلاح الحقّ تَثبيتًا لِلمُؤْمِنين ونُصحًا للرَّاغِبينَ فِي الهُدىٰ ودينِ الحقِّ.

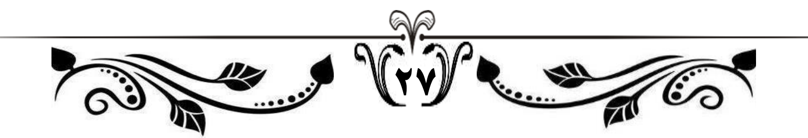
مِنْ مَشَارِيعِ الإِصْلَاح مَا اعتَمَدَ مَنْهَجَ الإِصْلَاحِ الدِّينِـيِّ، وجعله هو الأصل الَّذي يَكُون مِنهُ الانطلاق وَمِنْ أَبْرَزِ المَشارِيعِ الإِصْلَاحِيَّةِ الَّتِي جَعَلَتِ الإِصلاحَ الدِّينيَّ والعَقَدِي مَدْخَلًا مَنهجِيًّا لِكافَّة فُروعِ الإصلاحِ الأُخرىٰ دعوةُ الإمامِ المُجدِّد محمد بن عبد الوهاب -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- الَّتي اتَّخذت مِنَ التَّوحيدِ والسُّنّة مُنطلقًا، فَعالَجت بِالإنكارِ قضايا الشِّركِ في العبادةِ وتصحيحِ العقائد من البدعِ والمُحدثاتِ وجَعلَتْ ذَلكَ مدخلا للإصلاح السياسي والحضاريِّ العام، وقد تكونت دولة كجزء من المشروع وتم توظيفها لخدمة الإصلاح العقدي ونشر الدعوة إلىٰ التوحيد والسنة، وهذا المشروع الإصلاحيُّ الرائد يعتمد في منهجه العلمي علىٰ النصوص الشرعية وعلىٰ منهج السلف في الاستدلال والتلقي وعلىٰ طريقة أهل السنة والجماعة في الاعتقاد والتَّزكية وإلىٰ غير ذلك من الأسس القائمة علىٰ منهج أهل السنة والجماعة.



ومن المناهج الإصلاحية ما اعتمد الإصلاح الفكري، وأنت إذا نظرت إلىٰ عملهم وإلىٰ إسهامهم وجدته ككثيرٍ من المناهج المُدَّعية للإصلاح يحتاجُ إلىٰ إصلاحٍ لأنه انطلق من العقل الذي لم ينضبط بالشرع بل تأثر بالأفكار الدخيلة من فلسفية وكلامية محدثة ولم يتعرف علىٰ العلل الحقيقية التي تُعاني منها المجتمعات المسلمة وتحتاج إلىٰ إصلاحٍ.

كذلك من المناهج الإصلاحية ما اعتمد الإصلاح السياسي كجماعة الإخوان المسلمين والحركات المرتبطة بها من الناحية الفكرية؛ إلا أن هذه الحركات التي اعتمدت الإصلاح السياسي إما ابتداءً وإما تحولًا بسبب الظروف التي زعمت أنها تتطلَّب هذا التحول، هذه الحركات وقع لها انحرافٌ كبير يضاف إلىٰ انحرافها ابتداءً وذلك أنها صارت تدعُوا بدلًا من المُطالبة بتحكيم الشَّريعَة، تَدعُوا إلىٰ الحرية بالمفهوم الغربي، والديمقراطية، وحقوق الإنسان، والتَّعدُّدِيَّة والاعتراف بالآخَر إلىٰ غير ذلك من المفاهيم والنُّظم التي لها صلة بالديمقراطية الغربِيَّة، فأصبحتِ الدعوة إلىٰ الحرية والانتخابات مُقدَّمةٌ علىٰ الدعوة إلىٰ تطبيقِ الشَّريعةِ الإِسلَامِيَّة، فالحرية لها أولوية كبرىٰ علىٰ جميع مجالات الإصلاح، بل طالب بعضُهُم بِتأجيلِ كافَّةِ القضايا الشرعِيَّة حتىٰ تتحقق الحُرِّيَّةُ والدِّيمُقرَاطِيَّة -وَاللهُ المُسْتَعَان-.

وقد يكون هذا التحول يُعبِّر عن موقفٍ نفعيٍّ قَادت إليهِ الضُّغُوط الدَّاخِلِيَّة مِنَ الحُكُومَات وَالخَارِجِيَّة مِنَ الغَرب، لكن لا أحد يُنكر أن ذلك صار له تأثير كبير علىٰ قياداتهم ومنظريهم وعلىٰ شبابهم، و علىٰ من انشقَّ واختلف معهم بحيث أن بعضهم صاروا أقرب إلىٰ العلمانية والليبرالية التي كانوا يزعمون محاربتها ولكنها علمانية في ثوب جديد لا تخفىٰ علىٰ البُصراء.



ومن مشاريع الإصلاح كذلك مشروع الإصلاح الحضاري الذي يقوده الأستاذ مالك بن نبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-، والذي تُشكِّل المسألة الحضارية مَشرُوعَه الحضاري فيربط كافة قضايا الإصلاح نقدًا وتأصيلا بالمسألة الحضارية، والتي تبدأ دورتها بالتَّفاعُلِ بين أركانها الأساسية؛ وهي: الإنسان، والوقت، والتراب، إلىٰ آخر ما يتعلق بتفاصيل هذا المشروع.

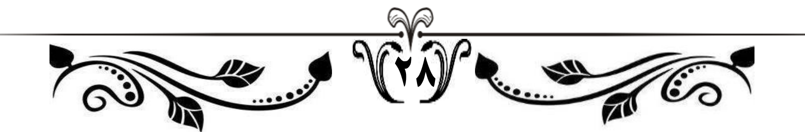
ظهر كذلك مشروعان متقابلان من ناحية تغيير الواقع، وطريقة ذلك، وأولوية هذه الطريقة في الإصلاح:

**الأولـىٰ**:دعوة التغيير السِّلمي التي تبناها جودت سعيد، وتلميذه خالص جَلْبِي.

**والثانيـة**: التغيير القتالي من خلال إعلان القتال ضد الكفار في الداخل والخارج حسب زعمهم.

فتيار اللَّاعُنف مُتأثِّر بالغاندية؛ وهو تيار ضعيف من حيث انتشاره ووجوده، ولديه منطلقات مادية في تقدير أهمية العمل كان لها أثر كبير في موقفه من الجهاد والقدر، وغيره من القضايا الشرعية، وهو يعتمد علىٰ فكر ينحو منحىٰ الإرجاء.

أما التيَّارُ القتالي فبالإضافة إلىٰ انحرافه من حيث الوسيلة، وبالإضافة كذلك إلىٰ إهماله الإصلاح العقدي والعلمي والتزكوي بصورة مفصلة فإنه تورَّط في مظاهر غُلو في مسائل التكفير، والحكم علىٰ الناس وفي تطبيقات العمل القتالي؛ مما أنتج آثارًا مُدمِّرةً لا يشك فيها عاقل.



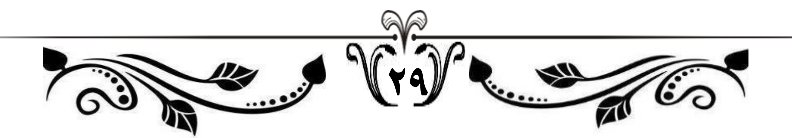
أَعُودُ فأشيرُ مقرراً ومؤكداً إلىٰ تلك المناهج التي عملت علىٰ إصلاح واقعِ المُسلمين مما ألمحتُ إليه سابقـًا، فأبيِّن أن طائفة من المسلمين ظنَّت أن مصيبة المسلمين، وسبب ضعفهم إنما هو مكر الأعداء، وتغلبهم، فظنَّت أن السبيل إلىٰ الإصلاح، إنما هو إشغال المسلمين بِالعدُوِّ، ومخططاته، وأقواله، وتصريحاته، وظنَّت طائفةٌ ثانية أنَّ المرض إنما هو تسلُّطُ الحُكَّامِ الظَّلمة في بعض الدول الإسلامية، فظنَّت أن سبيل الإصلاح هو إسقاطُ هؤلاء الحكام، وشحنُ نفوس الناس تُجاهَهُم.

وظنَّت طائفة أخرىٰ أنَّ المَرضَ إِنَّما هو تفرُّق المُسلِمِينَ في الأبدان؛ فظنت أن سبيل الإصلاحِ هو جمعهم وتوحيدهم لمُواجهةِ مشاكلهم، وطائِفةٌ أُخْرَىٰ ظنَّت أنَّ المرضَ تركُ الجهاد فظنَّت أن الدَّواء هو رفعُ راية الجهاد وهو قتال الكفار شرقا وغربا وهؤلاء جميعًا مخطئُون في تشخيصِ الدَّاء بصريحِ القُرآن والسنة، وبالرجوع إلىٰ القرآن والسنة يتبيَّنُ المنهج الحق.

فإن قال قائل قد بينت عددًا من مشاريع الإصلاح التي يترشَّح من كلامك أنَّها حادت عنِ المنهج القويم، فما هو هذا المنهج القويم والكفيل بعزِّ المسلمين؟

يُقال تواترت الآيات القرآنية والأحاديثُ النبوية في أنَّ المصائب التي تنزل بالعباد إنما سَببُهَا ذُنوبُهُم قَالَتَعَالَىٰ: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾[1].

(١) سورة آل عمران، الآية (١٥٦).



قال شيخُ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «وَحَيْثُ ظَهَرَ الْكُفَّارُ فَإِنَّمَا ذَاكَ لِذُنُوبِ الْمُسْلِمِينَ الَّتِي أَوْجَبَتْ نَقْصَ إِيمَانِهِمْ، ثُمَّ إِذَا تَابُوا بِتَكْمِيلِ إِيمَانِهِمْ نَصَرَهُمُ اللهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ١٣٩﴾[1]، وَقَالَ -تَعَالَىٰ-: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ﴾[2]»[3].

وَقَالَ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «وَأَمَّا الْغَلَبَةُ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَدْ يُدِيلُ الْكَافِرِينَ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ تَارَةً كَمَا يُدِيلُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ. كَمَا كَانَ يَكُونُ لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَعَ عَدُوِّهِمْ لَكِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ؛ فَإِنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ٥١﴾[4].

وَإِذَا كَانَ فِي الْمُسْلِمِينَ ضَعْفٌ وَكَانَ عَدُوُّهُمْ مُسْتَظْهِرًا عَلَيْهِمْ كَانَ ذَلِكَ بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمْ وَخَطَايَاهُمْ؛ إِمَّا لِتَفْرِيطِهِمْ فِي أَدَاءِ الْوَاجِبَاتِ بَاطِنًا وَظَاهِرًا وَإِمَّا لِعُدْوَانِهِمْ بِتَعَدِّي الْحُدُودِ بَاطِنًا وَظَاهِرًا.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ﴾[5]،

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ﴾[6].

---

(١) سورة آل عمران، الآية (١٣٩).

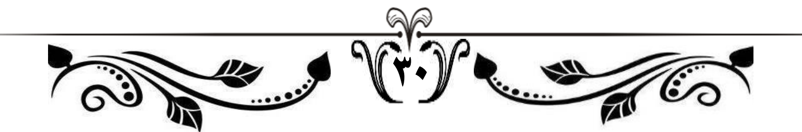
(٢) سورة آل عمران، الآية (١٥٦).

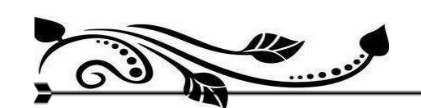
(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٦/ ٤٥٠.

(٤) سورة غافر، الآية (٥١).

(٥) سورة آل عمران، الآية (١٥٥).

(٦) سورة آل عمران، الآية (١٦٥).





وَ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ۝٤١﴾[١]»[٢].

وقال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «فَلَوْ رَجَعَ الْعَبْدُ إِلَىٰ السَّبَبِ وَالْمُوجِبِ لَكَانَ اشْتِغَالُهُ بِدَفْعِهِ أَجْدَىٰ عَلَيْهِ، وَأَنْفَعَ لَهُ مِنْ خُصُومَةِ مَنْ جَرَىٰ عَلَىٰ يَدَيْهِ. فَإِنَّهُ -وَإِنْ كَانَ ظَالِمًا- فَهُوَ الَّذِي سَلَّطَهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بِظُلْمِهِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْۗ﴾[٣] فَأَخْبَرَ عَنْ أَذَىٰ عَدُوِّهِمْ لَهُمْ، وَغَلَبَتِهِمْ لَهُمْ: إِنَّمَا هُوَ بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ. وَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۝٣٠﴾[٤]»[٥].

وقال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «وكذلك النصر والتأييد الكامل إنما هو لأهل الإيمان الكامل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ۝٥١﴾[٦]، وَقَالَ -تَعَالَىٰ-: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ۝١٤﴾[٧].

---

(١) سورة الحج، الآيتان (٤٠ – ٤١).

(٢) مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية ١١/ ٦٤٥.

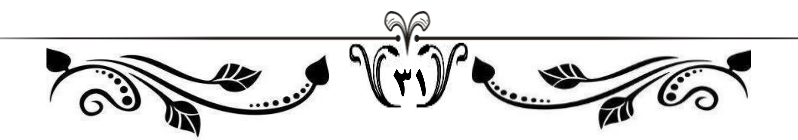
(٣) سورة آل عمران، الآية (١٦٥).

(٤) سورة الشورىٰ، الآية (٣٠).

(٥) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ٢/ ٢٢٠.

(٦) سورة غافر، الآية (٥١).

(٧) سورة الصف، الآية (١٤).



فمن نقص إيمانه نقص نصيبه من النصر والتأييد، ولهذا إذا أصيب العبد بمصيبة في نفسه أو ماله، أو بإدالةِ عدُوِّه عليه، فإنَّما هي بذنوبه، إما بترك واجبٍ، أو فعل مُحرَّم وهو من نقصِ إيمانه.

وبهذا يزول الإشكال الذى يورده كثير من الناس على قَوْلِهِ -تَعَالَىٰ-: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ١٤١﴾[1].

ويجيب عنه كثير منهم بأنه لن يجعل لهم عليهم سبيلا في الآخرة، ويجيب آخرون بأنه لن يجعل لهم عليهم سبيلا في الحُجَّة.

والتَّحقِيقُ: أنها مثل هذه الآيات، وأن انتفاء السبيل عن أهل الإيمان الكامل، فإذا ضعف الإيمان صار لعدوهم عليهم من السبيل بحسب ما نقص من إيمانهم، فهم جعلوا لهم عليهم السبيل بما تركوا من طاعة الله تعالىٰ.

فالمؤمن عزيز غالب مؤيد منصور، مكفيّ، مدفوع عنه بالذات أين كان، ولو اجتمع عليه من بأقطارها، إذا قام بحقيقة الإيمان وواجباته، ظاهرا وباطنا.

وقد قَالَ تَعَالَىٰ للمؤمنين: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ١٣٩﴾[2].

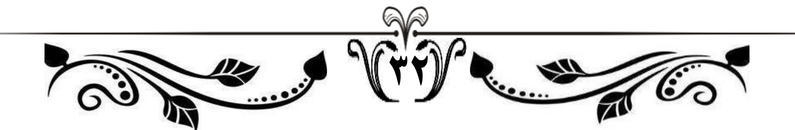
وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ٣٥﴾[3].

---

(١) سورة النساء، الآية (١٤١).

(٢) سورة آل عمران، الآية (١٣٩).

(٣) سورة محمد، الآية (٣٥).



فهذا الضمان إنما هو بإيمانهم وأعمالهم، التي هي جند من جنود الله، يحفظهم بها، ولا يُفرِدها عنهم ويقتَطِعُها عنهم، فيبطلها عليهم، كما يَتِرُ الكافرين والمنافقين أعمالهم إذا كانت لغيره ولم تكن مُوافقةً لأمره»[1].

إذًا المرضُ هو تقصير المسلمين في التمسك بدينهم، ومخالَفَتُهُم لشريعة نبيِّهم والعلاج لهذا المرض إنما هو في رجوعهم إلىٰ دينهم تبعًا لمنهج كتاب ربهم وسنة نبيهم علىٰ فهم سلفهم الصالحين، ورأس ذلك تحقيقهم للتوحيد الذي هو حق الله علىٰ العبيد.

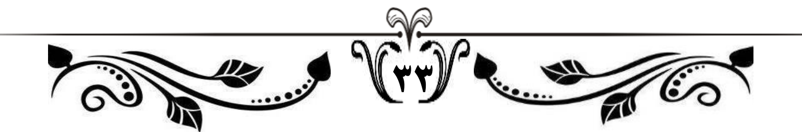
قال العلَّامةُ الإمام الألبانيُّ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «أقولُ ما أقُول وأخصُّ به المُسلمين الثِّقات، المتمثلين في الشباب الواعي، الذي عرف -**أولاً**- مأساة المسلمين، واهتم، -**ثانيًا**-بالبحث الصادق عن الخلاص، وبكل ما أُوتيهِ من قُوَّة... بينما الملايين من المُسلِمِين؛ مُسلمُونَ بحكم الواقع الجغرافي أو في تذكرة النفوس -الجنسية أو البطاقة أو شهادة الميلاد- فهؤلاء لا أَعْنِيهِم بالحديث.

**أعود فأقول**: إن الخلاص علىٰ أيدي هؤلاء الشباب يتمثل في أمرين لا ثالث لهما: [التصفية والتربية].

**وأعني بالتصفية**: تقديم الإسلام إلىٰ الشباب المسلم -وإلىٰ المسلمين- مُصفًّىٰ من كُلِّ ما دخل فيه علىٰ مدىٰ هذه القُرون والسِّنِين الطِّوال؛ من العقائد ومن الخرافات والبدع والضلالات. ومن ذلك ما دخل فيه من أحاديث غير صحيحة قد تكون موضوعةً، فلا بد من تحقيق هذه التصفية؛ لأنه بغيرها لا مجال أبداً لتحقيق أمنية هؤلاء المسلمين، الذين نعتبرهم من المصطفين المختارين في العالم الإسلامي الواسع.

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ٢/ ١٨٢.

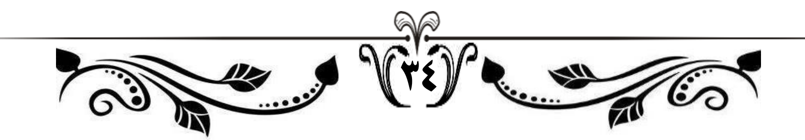


فالتصفية هذه إنما يراد بها تقديم العلاج الذي هو الإسلام، الذي عالج ما يشبه هذه المشكلة، حينما كان العرب أذلاء وكانوا يُستعبدُون من الأقوياء مِمَّن حولهم من فارس والروم والحبشة ونحو ذلك من جهة، وكانوا يعبدون غير الله -تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ- من جهة أخرىٰ.

فهذا الإسلام كان هو العلاج الوحيد لإنقاذ العرب مما كانوا فيه من ذلك الوضع السيِّئ، والتاريخ كما يُقال يُعيد نفسه، والعلاج إذا كان هو العلاج السابق -نفْسُه- فسيقضي حتمًا -إذا استعمله المريض- علىٰ مرضه الذي هو عين المرض السابق.

الإسلام هو العلاج الوحيد وهذه كلمة لا اختلاف فيها بين الجماعات الإسلامية أبدًا.

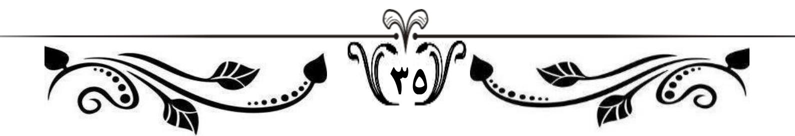
وذلك من فضل الله علىٰ المسلمين، ولكنَّ هُناك اختلافًا كبيرًا بين الجماعات الإسلامية الموجودةِ اليوم علىٰ الساحة، ساحة الإصلاح، ومحاولة إعادة الحياة الإسلامية، واستئناف الحياة الإسلامية، وإقامة الدولة الإسلامية، هذه الجماعات مختلفة -مع الأسف الشديد- أشد الاختلاف حول نقطة البدء بالإصلاح فنحن نخالف كل الجماعات الإسلامية في هذه النقطة، ونرىٰ أنه لا بد من البدء بالتصفية والتربية معًا، أما أن نبدأ بالأمور السياسية، والذين يشتغلون بالسياسة قد تكون عقائدهم خرابًا يبابًا، وقد يكون سلوكهم من الناحية الإسلامية بعيداً عن الشريعة، والذين يشتغلون بتكتيلِ الناس وتجميعهم علىٰ كلمة (إسلامٍ) عامة ليس لهم مفاهيم واضحة في أذهان هؤلاء المتكتِّلين حول أولئك الدعاة، ومن ثم ليس لهذا الإسلام أي أثر في مُنطلَقِهِم في حياتهم،



ولهذا تجد كثيراً من هؤلاء وهؤلاء لا يُحقِّقُونَ الإسلام في ذوات أنفسهم، فيما يمكنُهم أن يطبِّقُوه بكل سهوله بحيث لا أحد مهما كان متكبرًا جباراً يدخل بينه وبين نفسه؛ وفي الوقت نفسه يرفع هؤلاء أصواتهم بأنه لا حكم إلا لله، ولا بد أن يكون الحكم بما أنزل الله؛ وهذه كلمة حقٍّ، ولكنَّ فاقدَ الشَّيءِ لا يُعطيهِ، فإذا كان أكثر المسلمين اليوم لا يقيمون حكم الله في أنفسهم ويُطالِبُون غيرهم بأن يقيموا حكم الله في دولتهم فإنهم لن يستطيعوا تحقيق ذلك ففاقد الشيء لا يُعطيه، لأن هؤلاء الحكام هم من هذه الأمة، وعلىٰ الحكام والمحكومين أن يعرفوا سبب هذا الضعف الذي يعيشونه، يجب أن يعرفوا لماذا لا يحكم حكام المسلمين اليوم بالإسلام إلا في بعض النواحي، ولماذا لا يطبق هؤلاء الدعاة الإسلام علىٰ أنفسهم، قبل أن يطالبوا غيرهم بتطبيقه في دولهم؟!

**الجواب واحد**: وهو إما أنهم لا يعرفون الإسلام، ولا يفهمونه، إلا إجمالًا، وإما أنهم لم يُربُّوا علىٰ هذا الإسلام في مُنطلَقِهِم، وفي حياتهم ، وفي أخلاقهم، وفي تعاملهم مع بعضهم ومع غيرهم... والغالب، كما نعلمه بالتجربة، أنهم يعيشون في العِلَّة الأولىٰ الكبرىٰ وهي بُعدهم عن فهم الإسلام فهمًا صحيحًا؛ كيف لا وفي الدعاة اليوم من يعتبر السلفيين بأنهم يُضيِّعُون عمرهم في التوحيد، ويا سبحان الله!، ما أشد إغراق مَنْ يقول مثل هذا الكلام في الجهل؛ لأنه يتغافل، إن لم يكن غافلاً حقًّا، عن أن دعوة الأنبياء والرسل الكرام كانت ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾[1] بل إن نوحًا -عليه الصلاة والسلام-، أقام ألفَ سنةٍ إلا خَمسينَ عامًا لا يُشرِّع ولا يُقيم سِياسَةً ... بل: يا قوم اعبدوا الله، واجتنبوا الطاغوت...!

(١) سورة النحل، الآية (٣٦).



هل كان هناك تشريع؟ هل هناك سياسة؟ لا شيء؛ تعالوا يا قوم اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت، فهذا أول رسول، بنص الحديث الصحيح، أُرسل إلىٰ الأرض، واستمرَّ في الدعوة ألف سنة إلا خمسين لا يدعوا إلا إلىٰ التوحيد، وهو شغل السلفيين الشاغل... فكيف يُسفِّهُ كثيرٌ مِنَ الدُّعاةِ الإسلاميين وينحطُّون إلىٰ درجة أن ينكروا ذلك علىٰ السلفيين؟!

إن من فضائل السنة أنها تُوضِّح مشاكل قد تعترض الأمة فيضع لها العلاجَ مُسبقًا بعد أن ينبههم علىٰ مرضهم وعلتهم، وكلنا يعلم قول الرسول -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «ستتداعىٰ عليكم الأمم كما تداعىٰ الأكلة علىٰ قصعتها، قالوا: أَوَمِنْ قِلَّةٍ نحن يومئذٍ يا رسول الله؟ قال: لا، بل أنتم يومئذٍ كثير، ولكنكم غُثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله المهابة من صدور عدوكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن؟ قالوا يا رسول الله: وما الوهن؟ قال: حبَ الدنيا وكراهية الموت»[(١)].

ففي هذا الحديث بيان مرضٍ من الأمراض التي ستصيب المسلمين فيكون ذلك سببًا أو سُنَّةً كونية شرعيَّةً في آنٍ واحدٍ؛ أن يتسلَّط عَلىٰ المُسلمين الأعداء، وأن يَهجُموا عليهم من كُلِّ صوبٍ كما تتداعىٰ الأكلة علىٰ قصعتها، أقول في هذا الحديث بيان مرض من الأمراض التي تؤدي بالمسلمين إلىٰ هذا الوضع المشين ألا وهو (حب الدنيا وكراهية الموت) وهذا له علاقة -بما قلت آنفًا- من أنه لابد من [التصفية والتربية].

---

(١) رواه أبو داود عن ابن عمر -رضي الله عنهما-، وأحمد والطبراني في الكبير وابن عدي وأبو نعيم في الحلية، وهو صحيح.



والشطر الثاني من هذه الكلمة -أي؛ التصفية والتربية- أنه لابد من تربية المسلمين -اليوم- تربية علىٰ أساس ألا يُفتَنُوا كما فتن الذين من قبلهم بالدنيا، حيث يقول الرسول -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-: «ما الفقر أخشىٰ عليكم ولكن أخشىٰ عليكم أن تفتح عليكم زهرة الحياة الدنيا فتهلككم كما أهلكت الذين من قبلكم» ولهذا نرىٰ أَنَّهُ قلَّ من يتنبَّه لهذا المرض فيُربِّي الشباب، لاسيما الشباب الذين فتح الله عليهم كنوز الأرض وأغرقهم في خيراته -تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ- وفي بركات الأرض، قلما ينبه إلىٰ هذا، فهذا مرض يجب علىٰ المسلمين أن يتحصنوا منه، وأن لا يصل إلىٰ قلوبهم «حب الدنيا وكراهية الموت» إذاً فهذا مرضٌ لابُدَّ من معالجته وتربية النَّاس علىٰ أن يتخلصوا منه.

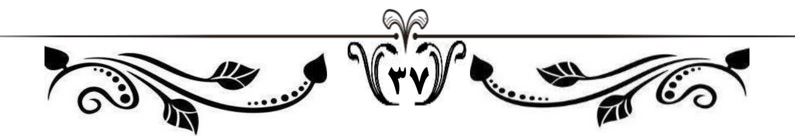
ونعود إلىٰ الشق الأول، وهو الأهم بلا شك، وهو قولنا إنه لابد أن يكون البدء بالتصفية مقرونة بالتربية. وهناك حديث للرسول -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- يشير فيه إلىٰ هذه التصفية، ألا وهو قوله عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّىٰ تَرْجِعُوا إِلَىٰ دِينِكُمْ**»[1].

**ثم قال -رَحِمَهُٱللَّهُ-: ونتساءل الآن: ما هو الحل؟**

الحل وارد في ختام حديث الرسول -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- الذي أوردته، وهو: «**حَتَّىٰ تَرْجِعُوا إِلَىٰ دِينِكُمْ**»... الحل يتمثل في العودة الصحيحة إلىٰ الإسلام... الإسلام بالمفهوم الصحيح الذي كان عليه رسول -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- وصحابته.

---

(١) سنن أبي داود ٣/ ٢٧٤ برقم (٣٤٦٢)، حكم الألباني: صحيح. السلسلة الصحيحة ١/ ٤٢ برقم (١١).



وتحديداً للإجابة عن السؤال الوارد في بداية هذا الرد.

**أعود فأقول:** لابد أن نبدأ بـ[التصفية والتربية]، وإن أي حركة لا تقوم علىٰ هذا الأساس لا فائدة منها إطلاقـًا.

ولكي ندلل علىٰ صحة ما نذهب إليه في هذا المنهج، نعود إلىٰ كتاب الله الكريم، ففيه آيةٌ واحدة تدل علىٰ خطأ كُل من لا يتفق معنا علىٰ أن البداية تكون بـ[التصفية والتربية].

يقول تعالىٰ: ﴿**إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ**﴾(١) هذه هي الآية المقصودة، وهي التي أجمع المفسرون علىٰ أن معنىٰ نصرالله إنما هو العمل بأحكامه، من ذلك أيضـًا، الإيمان بالغيب الذي جعله -**سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ**- الشرط الأول للمؤمنين ﴿**ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ**﴾(٢)، فإذا كان نصر الله لا يتحقق إلا بإقامة أحكامه فكيف يمكننا أن ندخل في الجهاد عمليـًا ونحن لم ننصر الله وفق ما اتفق عليه المفسرون؟!

كيف ندخل الجهاد وعقيدتنا خراب يباب؟

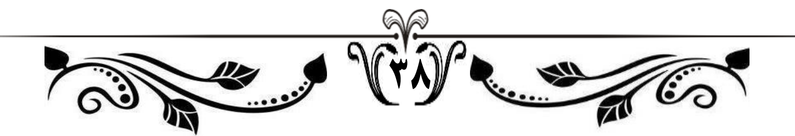
كيف نجاهد وأخلاقنا تتماشىٰ مع الفسـاد؟!!

لابد إذاً، قبل الشروع في الجهاد، من تصحيح العقيدة، وتربية النفس؛ وأنا أعلم أن الأمر لن يسلم من المعارضة، لمنهجنا في [التصفية والتربية]، فهناك من سيقول: إن القيام بـ[التصفية والتربية] أمـر يحتـاج إلـىٰ سـنين طويلـة، **ولكنـي**

---

(١) سورة محمد، الآية (٧).

(٢) سورة البقرة، الآية (٣).



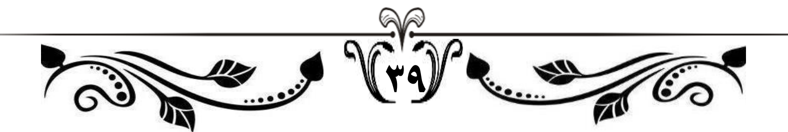
**أقول**: ليس هذا هو الهام في الأمر، بل الهام أن ننفذ ما يأمرنا به ديننا وربنا العظيم، الهامُّ أن نبدأ بمعرفة ديننا أولًا ولا يهم بعد ذلك أن يطول الطريق أو يقصر، إنني أتوجه بكلامي إلىٰ رجال الدعوة المسلمين، وإلىٰ العلماء والموجهين وأدعوهم أن يكونوا علىٰ علم تام بالإسلام الصحيح، وعلىٰ محاربة لكل غفلة أو تغافل، ولكل خلاف أو تنازع ﴿**وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ**﴾(1) وحين نقضي علىٰ هذا التنازع وعلىٰ هذه الغفلة، ونحل محلهما الصحوة والائتلاف والاتفاق نتجه إلىٰ تحقيق القوة المادية ﴿**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ**﴾(2)، فتحقيق القوة المادية أمر بديهي، إذ لابد من بناء المصانع ومصانع الأسلحة وغيرها؛ ولكن لابد قبل كل شيء من العودة الصحيحة إلىٰ الدين كما كان عليه الرسول -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأصحابه في العقيدة، وفي العبادة، وفي السلوك، وفي كل ما يتعلق بأمور الشريعة ... ولا تكاد تجد أحداً من المسلمين يقوم بهذا سوىٰ السلفيين فهم الذين يضعون النقط علىٰ الحروف، وهم وحدهم ينصرون الله بما أمرهم به من [تصفية وتربية] تُوجِد الإنسان المسلم الصحيح؛ وهم وحدهم الذين يُمثِّلون الفرقة الناجية من النار من الفرق الثلاث والسبعين التي سُئِل عنها الرسول -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وقال هي في النار ..!

**ولهذا أعود فأقول**: ليس من طريقٍ للخلاص سوىٰ الكتاب والسنة، وسوىٰ [التصفية والتربية] في سبيلهما؛ وهذا يستدعي المعرفة بعلم الحديث

---

(1) سورة الأنفال، الآية (٤٦).

(2) سورة الأنفال، الآية (٦٠).



وتمييز الصحيح من الضعيف كي لا نبني أحكامًا خاطئةً كتلك التي وقع بها المسلمون فيها بكثرة بسبب اعتمادهم علىٰ الأحاديث الضعيفة.

**وقال** -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- **في موضع آخر**: فهب أننا -نحن العرب- قد فهمنا الإسلام فهمًا صحيحًا، فليس من الواجب علينا بأن نعمل عملاً سياسيًا، ونحرك الناس تحريكًا سياسيًا، ونشغلهم بالسياسة عما يجب عليهم الاشتغال به، **من فهم الإسلام**: في العقيدة، والعبادة، والمعاملة والسلوك**!!** فأنا لا أعتقد أن هناك شعبًا يُعد بالملايين قد فهم الإسلام فهمًا صحيحًا -**أعني**: العقيدة، والعبادة، والسلوك- ورُبِّيَ عليها، ولذلك فنحن نُدَنْدِن أبداً ونُركِّز دائمًا حول النقطتين الأساسيتين اللتين هما قاعدة التغيير الحق، **وهما**: [التصفية والتربية]، فلابد من الأمرين معا: [التصفية والتربية]، فإن كان هناك نوع من التصفية في بلد فهو في العقيدة، وهذا -بحد ذاته- يُعتبر عملاً كبيراً وعظيمًا، أما العبادة فتحتاج إلىٰ أن تتخلص من المذهبِيَّة الضيقة، والعمل علىٰ الرجوع إلىٰ السنة الصحيحة، فقد يكون هناك علماء أجلاء فهموا الإسلام فهما صحيحًا من كل الجوانب، لكني لا أعتقد أن فرداً أو اثنين، أو ثلاثة، أو عشرة، أو عشرين يمكنهم أن يقوموا بواجب التصفية، تصفية الإسلام من كل ما دخل فيه؛ سواء في العقيدة أو العبادة أو السلوك، إنه لا يستطيع أن ينهض بهذا الواجب أفراد قليلون يقومون بتصفية ما عَلُقَ به من كل دخيل ويربوا من حولهم تربيةً صحيحةً سليمةً، فالتصفية والتربية الآن مفقودتان، ولذلك سيكون للتحرك السياسيّ لكل مجتمع لا يحكم بالشرع آثار سيئة؛ قبل تحقيق هاتين القضيتين الهامتين، أما النصيحة فهي تحل محل التحرك السياسي في أي بلد يحكم بالشرع من

خلال المشورة، أو من خلال إبدائها بالتي هي أحسن، بالضوابط الشرعية بعيداً عن لُغة الإلزام أو التشهير، فالبلاغُ يقيم الحجة ويُبرِّئُ الذِّمَّة.

ومن النُّصحِ -أيضـًا-، أن نشغل الناس فيما ينفعهم؛ بتصحيح العقيدة، والعبادة، والسلوك، والمعاملات.

وقد يظن بعضهم أننا نريد تحقيق [التربية والتصفية] في المجتمع الإسلامي كُله! هذا مالا نفكر فيه ولا نحلم به في المنام؛ لأن هذا تحقيقه مستحيل؛ ولأن الله -عَزَّوَجَلَّ- يقول في القرآن الكريم: ﴿**وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ١١٨**﴾[1].

وهؤلاء لا يتحقق فيهم قول ربنا -تعالىٰ- هذا إلا إذا فهموا الإسلام فهمـًا صحيحـًا ورَبُّوا أنفسهم وأهليهم ومن كان حولَهُم علىٰ هذا الإسلام الصَّحيح.

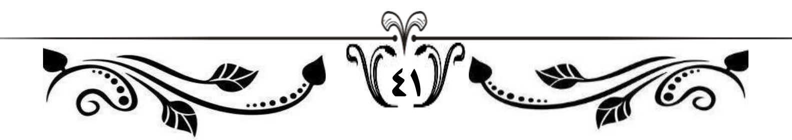
فالاشتغال الآن بالعمل السياسي مَشغلةٌ! مع أننا لا نُنكره، إلا أننا نُؤمن بالتَّسلسُل الشرعيّ المنطقي في آنٍ واحِد، نبدأ بالعقيدة، ونُثنِّي بالعبادة، ثم بالسلوك؛ تصحيحـًا وتربيةً ثم لابد أن يأتي يومٌ ندخل فيه في مرحلة السياسة بمفهومها الشرعيّ.

**لأن السياسة معناها:** إدارة شؤون الأمة، من الذي يدير شؤون الأمة؟

ليس زيداً، وبكراً، وعمراً؛ ممن يؤسس حزبـًا أو يترأس حركة، أو يُوجِّهُ جَماعةً!! هذا الأمر خاصٌّ بوليّ الأمر؛ الذي يُبايَع من قبل المسلمين، انتهىٰ كلامه- رَحِمَهُٱللَّهُ-.

---

(١) سورة هود، الآية (١١٨).



إذا تبيَّنَّا أن رفعة الأمة مرهونـة بـالعلم والعمـل وأن الأمـة قـد اختلفـت فيهما اختلافا كثيراً، وأنه قـد عَلُـقَ بالإسـلام مـا لـيس منـه وأنـه لا سـبيل إلـىٰ التخلص من الذل المضروب علينا من قرون إلا بالرجوع إلىٰ الدين الصحيح، كما روىٰ ابن عمر عـن النبـي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنـه قـال: «**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَـةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّىٰ تَرْجِعُوا إِلَىٰ دِينِكُمْ**»[1].

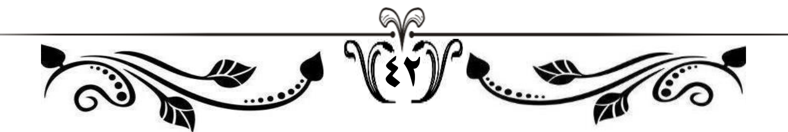
وجب المسارعة إلىٰ تحقيق ما يرفع عنَّا الذل، وهو الرجـوع إلـىٰ صـفاء الوحيين الكتاب والسنة علىٰ فهم السلف الصالح الذين هم أهل القرون الثلاثـة الأولىٰ، وإذْ قَد اِمتَدَّت يَدُ التحريف إلىٰ صفاء الإسلام حتىٰ لوَّثته وإلـىٰ جمالـه حتىٰ شوهته.

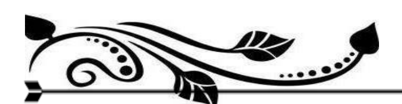
فكانت تصفيته من كل دخيل من أوجب الواجبـات مـا دام الحـق الـذي بعـث الله بـه نبيـه -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مضـمونَ البقـاءِ إلـىٰ يـوم تَبـدُّل الأرض والسـموات بضـمان الله القائـل: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ⁽٩⁾**﴾[2].

وإذا دبَّ التحريفُ إلىٰ قومٍ وشـحَّت منـاهجهم عـن التصـفية أصـابتهم حيرة لا يُفرِّقُون معها بين حلال وحرام، كما روىٰ مُسلمٌ عَنْ عِيَاضِ بْـنِ حِمَـارٍ الْمُجَاشِعِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِـهِ: «**أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا**

(١) سبق تخريجه ص (١٠).

(٢) سورة الحجر، الآية (٩).





**حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَىٰ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ»**(١)، ولمَّا كانتِ الجاهليَّةُ على هذا الوصف الذي في الحديث بعث الله نبيه محمدًا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مُربِّيًا لها على الإسلام، ومُربِّيًا لها على الإسلام الذي ارتضاه لها ربها.

وعلى قاعدة [التصفية والتربية]، وإن شئت قلت [التخلية والتحلية] قامت دعوة الإسلام، ففي التوحيد لا يتربَّى المرءُ عليه سليمًا حتى يتخلصَّ من رواسبِ الشِّرك، ولذلك قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿**فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا**﴾(٢) وفي التشريع لا يتربَّى المرء عليه سليما حتى يتخلص من البدع ولذلك كان النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في كل خُطبةٍ جمعة يأمر بلزوم الدين الصحيح المتمثل في الكتاب والسنة ويُحذِّر مما يغُشُّه ويُكدِّر صفاءه، وهو البدع فقد روى مُسلمٌ؛ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّىٰ كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: «صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ»، وَيَقُولُ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»، وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ، وَالْوُسْطَىٰ، وَيَقُولُ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الْهُدَىٰ هُدَىٰ مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»(٣).

---

(١) صحيح مسلم ٤/ ٢١٩٧ رقم (٢٨٦٥).

(٢) سورة البقرة، الآية (٢٥٦).

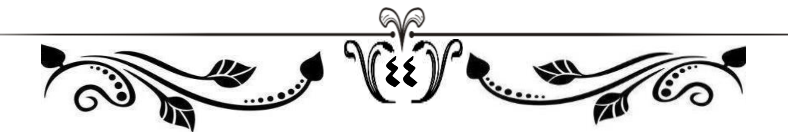
(٣) صحيح مسلم ٢/ ٥٩٢ رقم (٨٦٧).

وتكراره لهذه الجملة دليل تأصيلها وشَـدِّ العناية إليها، وخلاصةُ هذه القاعدة أنها تعني تصفية الإسلام من كل دخيل، وتربية الناس علىٰ هذا الإسلام الأصيل؛ أي: تصفية التوحيد من الشرك، والسنة من البدعة، والفقه من الآراءِ الحادثة المرجوحة، والأخلاق من سلوك الأمم الهالكة المقبُوحَة، والأحاديث النبوية الصحيحة؛ من الأحاديث المكذوبة المفضوحة، وقد اجتمع الشيخ محمد ناصر الدين الألباني بأحد قادةِ الأحزاب الإسلامية وكان الشيخ علىٰ دراية دقيقة بحوادثهم، وبَلَغَهُ أن مؤيِّديهم يُعدُّون بالملايين، فكان مما سأله عنه ما أُثبتُه هنا اختصارا أن قال له الشيخ: «أَكُلُّ الذينَ معكَ يعرفُون أن الله مُستوٍ علىٰ عرشه؟»؛ وبعد أخذ ورد، وتهرّب وصدّ، **قال المسئول**: «نرجو ذلك!» قال له الشيخ: «دعك من الجواب السياسي!»، فأجابه بالنفي، فقال الشيخ: يكفيني منك هذا!». هذا السؤال تفرضه قاعدة [التصفية والتربية] التي هي أدق ميزانٍ تُعرفُ به الدَّعواتُ الَّتي تَدَّعي الإصلاحَ اليوم؛ لأن من عجز عن تصفية عقائد مُؤيِّديه ومحبيه وتربيتهم علىٰ العقيدة السليمة، يكون أعجز عن تصفية ثمراتهم في أخلاقهم وسائر أعمالهم وفيهم مُبغِضُوهُ ومُحارِبُوه فكيف بتربيتهم بعد ذلك والله يقول: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ**﴾[1].

أما الجهاد نفسه فإنَّه لا يكون إلا بأمة مُؤتَلِفةِ القلوب؛ لأن الائتلاف رافدُ النَّصر كما قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿**هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ**﴾[2].

(١) سورة الرعد، الآية (١١).

(٢) سورة الأنفال، الآيتان (٦٢-٦٣).



والقلوب إن لم تجتمع علىٰ العقيدة السلفية كان أصحابها في شقاق لا يُجبرهُ اِجتماعُهم في صناديقِ الاقتراع، قال الله -عَزَّوَجَلَّ- مُخاطبًا أصحاب النبي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-: ﴿**فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ**﴾[1]، ومهما تكن عليه الغُثائِيَّة السياسية من تجميع، فإن بداية أمر عقيدتها إلىٰ تمييع، ونهاية تجميعها إلىٰ تفرّق وتبديع؛ لأن اجتماع الأبدانِ لن يَكُونَ إلَّا مُؤقَّتًا، إذا كان عقد القلوبِ مُشتَّتًا، ولم أجد لهؤلاء أصدقَ وصفٍ من قولِ اللهِ -تعالىٰ- في اليَهُود: ﴿**بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ**﴾[2].

وجِماعُ الأمر أن الله وعد بالاستخلاف الحسن من عبده وحده بلا إشراكٍ، فقال -تعالىٰ-: ﴿**وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ**﴾[3].

ولا يجوز أن يدفع في صدر هذا النص بضربِ الأمثالِ التَّاريخِيَّةِ علىٰ نقضه؛ لأن المسلم وقَّافٌ عند النَّص، وقد قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿**فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٧٤**﴾[4].

(١) سورة البقرة، الآية (١٣٧).

(٢) سورة الحشر، الآية (١٤).

(٣) سورة النور، الآية (٥٥).

(٤) سورة النحل، الآية (٧٤).

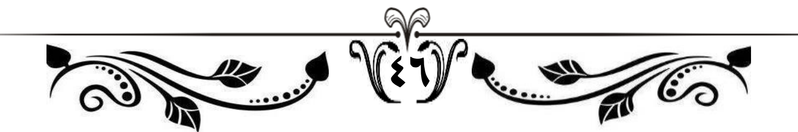
وأما تحديدُ الشَّيخ سؤاله في مسألة الاستواء؛ فلأنها مفترق الطُّرق بين أهل السنة وأصحاب الأهواء، ولأنها العقيدةُ السهلة التي كان يعرفها مجتمع النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الذي فتح الدنيا وقاد الأمم، حتىٰ الجواري من رعاة الغنم.

وامتحان الشيخ بها ذلك الحزب السياسي الزاعم أنه مكتمل في دينه وعلىٰ مستوىٰ جاهلية وقته هذا الامتحان، مسلك سلفي وإن رَغِم أنفُ كُلِّ خَلفيٍّ، فقد روىٰ مُسلم وغيرُه؛ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، قَالَ: «**كَانَتْ لِي غَنَمٌ بَيْنَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ فِيهَا جَارِيَةٌ لِي، فَأَطْلَعْتُهَا ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّئْبُ ذَهَبَ مِنْهَا بِشَاةٍ وَأَنَا مِنْ بَنِي آدَمَ، (آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ)، فَرَفَعْتُ يَدِي فَصَكَكْتُهَا صَكَّةً، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرْتُ (لَهُ ذَلِكَ) فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَيَّ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا أَعْتِقُهَا؟ قَالَ: ادْعُهَا، فَدَعَوْتُهَا. قَالَ: «فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَيْنَ اللهُ»، قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: مَنْ أَنَا، قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ. قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**»[(١)].

فتأمل -يرحمك الله- هذا المجتمع الذي كان يجاهد به النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ اكتمل في عقيدته حتىٰ عند رعاة الغنم الَّذين تَقِلُّ صُحبتُهم للنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كهذه الجارية!؛ وتأمل حقيقة المجتمعات الإسلامية اليوم التي يُطمَع تسلُّق عرش الحكم بها، لتدرك البون الشاسع بين جهاد أولئك وجهاد هؤلاء، فهل استطاعت الدعوات الجهادية أن تجمع الأتباع، فضلًا عن الرعاع علىٰ أين الله؟

---

(١) مسند أحمد، ط؛ الرسالة ٣٩/١٨١ رقم (٢٣٧٦٥)، سنن النسائي ٣/١٤ رقم (١٢١٨) حكم الألباني: صحيح.



أم هو سؤال أضحىٰ أضحوكةً تتندَّر بها الأحزاب في زمن تأثير الحضارات، ومحل سُخريةٍ عند مُنظِّري الجماعات؟ أم أنهم فهموا ضرورة الحكم بما أنزل الله ولو أنهم ضيعوا الله؟! فمتىٰ يأذن الله بعتق رقابهم ممن استذلوهم، كما عتقت الجارية بعد أن عرفت الله ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢١﴾[1].

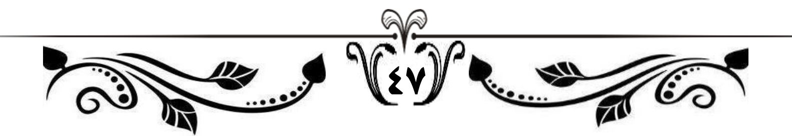
لكن حقيقة هذا السؤال هي استخراج حقيقة الدعوات، وتبيّن مدىٰ خلوص النيات؛ لأن في الاهتمام بالحكم بالشريعة، وفي الاهتمام بمسألة الاستواء اهتمامًا بحق الله تعالىٰ، لكنَّ بين الأولىٰ والثانيةِ فرقٌ، وهو أن للعبد في الأولىٰ حظًّا لنفسه، وهو ما يتكرر علىٰ الألسن من استرجاع المظالم، واستيفاء الحقوق، والعيش الرغد الموعود به حقا في قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[2]، أي أن حظ العبد خالط حق الرب، وأما الاهتمام بصفة الاستواء لله فهو اهتمام بحق الله الخالص، ليس للداعي إليها أدنىٰ نصيب من حظّ نفسه. فتأمل هذا الفرق تُدرك عزّة الإخلاص؛ لأن الدَّندَنة حول قضية الحكم بما أنزل الله، مع إهمال قضايا صفات الرب الخالصةِ أو تأخيرها أو تهميشها -وهي أشرف ما أنزله الله؛ إذ شرف العلم بشرف المعلوم، كما سبق- لأكبرُ دليلٍ علىٰ أن في الأمر شَائِبة، تُؤكِّد ضرورة الرجوع إلىٰ دعوة الأنبياء الذين قالوا لقومهم: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾[3].

---

(١) سورة يوسف، الآية (٢١).

(٢) سورة الأعراف، الآية (٩٦).

(٣) سورة النحل، الآية (٣٦).



فقدَّموا الاهتمام بشرك القبور علىٰ الاهتمام بشرك القصور -إن صح هذا التعبير-، لهذا لم تكن الإمامة من أصول الإيمان -فتدبَّر!-.

أعيدُ هذا الكلام وأكرِّرُهُ بِنُقولٍ مُتضافرةٍ لتأكيدهِ ولبيانِ خطأ الانحرافِ عنه؛ لاسيما أولئك الذين صرَّحُوا بأن سعي النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إنما كان بحثا عنِ الدَّولة بل صرَّحُوا بأن رحلة الإسلام إنما تبدأ بعد إقامة الدَّولة بل صرَّحُوا بأنَّ الطريق الأوحد في التغيير إنما هو إيجاد الفرد ثم المجموعة القوية التي تمتلك شوكة ثم تُصارعُ السلطة؛ ومن خلال السُّلطة يتغيَّر المُجتمع، وإننا لنسألُهم:

إذا وجدتم هذه المجموعة القوية فهل ستكون مَجموعةً سِريَّة؟

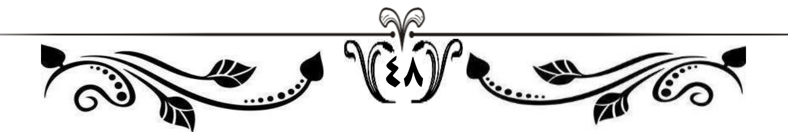
هل ستكون مجموعةً تربط بين أفرادها ببيعةٍ حرَكِيَّةٍ بدعِيَّة؟

ثم ما هو هذا العمل الذي صرَّحتم بأنه صراع مع السلطة؛ أهو صراع قتال، وهذه السلطة إذا كانت مُسلمةً وإن كانت مُقصرةً، فهل ستعملون علىٰ الصراع معها لإزالتها؛ فهو إشعالُ حربٍ بين مُسلمين وهُو الخروجُ البدعِيّ الَّذي مزَّق المُسلمين وجعلهم فريسةً للكَفَرةِ الطَّامعين، ثم مَن مِنَ العُلماء السلفيين الصادقين الَّذينَ صرَّحُوا بأن النموذج الوحيد للتغيير هو الفرد ثم المجموعة القوية التي لها شوكة، والتي تتصارع مع السلطة، نُريد تسمية العلماء الرَّبانِيِّين الذين قالوا بهذا القول؛ فموضوع الإصلاح الأول والأساس هو عبادة اللهِ وتوحيده، وهذه هي دعوة الأنبياء، إذ كل نبي أرسله الله إلىٰ قومه بهذا الأمر قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[1]، وهذا هو ما خلق الله تعالىٰ الإنس والجن له قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦﴾[2].

---

(١) سورة النحل، الآية (٣٦).

(٢) سورة الذاريات، الآية (٥٦).



فالذين يدعون إلىٰ الإصلاح؛ ويجعلون دعوتهم الإصلاحية في القضايا السياسية، أو الاقتصادية أو توزيع الثروة أو نحو ذلك؛ فهؤلاء عملوا عملاً ليس عليه أمر الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فهو ردٌّ عليهم.

ومن أراد الإصلاح ولم يجعل هذا هو موضوعه ومقصده، فقد خالف منهجَ الأنبياء وترك ما عليه الإصلاحُ الشَّرعي عند أهل السنة والجماعة وانظر فيمن يزعم الإصلاح ويتسمَّىٰ باسمه هذه الأيام، تَجِدهُ مخالفًا لهذا الضَّابط أشد المخالفة، فتوزيع الثَّروةِ هو دَيدَنُه ليل نهار، ومنازعة الأمر أهله ديدنه فلا شأن له مع هذا الضَّابط أصلا، إلا من باب ذر الرماد علىٰ العيون-كما يقولون-!

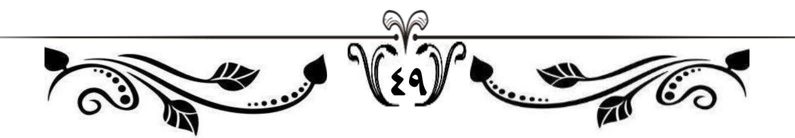
والسلفيون أهل السنة والجماعة مُصدِّقون بوعد الله لهم إذا حققوا عبادته، وتوحيده –سُبحانه- بأنَّه سَيستَخلِفُهُم في الأرض، كما استخلف الذين من قبلهم، وبأنه يُمكِّن لهم دينهم الذي ارتضاه لهم، وبأنه سَيُبْدِلُهُم خوفهم أمنا قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٥٥﴾[1].

لهذا فجوابنا إذا سُئِلْنا؛ ما الواجب علينا لتحقيق الإصلاح وإرجاعِ العزَّة والكرامة الإسلامية؟

**جوابنا هو:** [التصفية والتربية]؛ نأخذ علمًا صحيحًا، ونُربِّي الناس عليه، ونقوم بالواجبات الشرعية، ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[2].

(١) سورة النور، الآية (٥٥).

(٢) سورة محمد، الآية (٧).



ثم لا نتعجَّل، والنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لام أصحابه لما كانوا يُقتلُون وضرب لهم مثلا؛ **قال في آخره**: كما جاء في حديث خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ؛ «**وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**»[1].

فنحن نمضي في طريق الإصلاح الرباني هذا، ونرجو أن يتحقق النصر للإسلام في حياتنا؛ وإن لم يتحقق فحسبنا أننا التزمنا ما أمرنا به ديننا، ولسنا مسئولين عن النتائج ولهذا يقول الشيخ الألباني -رَحِمَهُ اللَّهُ-:

«فالآية السابقة حينما خط الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- ذلك الخط المستقيم الطويل تلا: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ**﴾[2]؛ **أي**: ولو طال عليكم الأمر امشوا في هذا الطريق المستقيم ولو طال عليكم، لأن الأمر كما قال -عَلَيْهِ السَّلَامُ- في صحيح البخاري ومسلم: «حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات»[3].

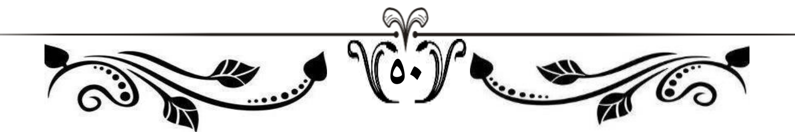
**المكاره**: هو السير في هذا الطريق المستقيم، طويل، متى نصل، أنت المهم أنك تمشي ولو أول خطوة، فلو مت فيها فأنت يقيناً من أهل الجنة، كما جاء -أيضاً- في الحديث الصحيح: «أن رجلاً من الأعراب في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ جاء إليه وآمن به، **قال له**: «أرأيت إن أنا جاهدت وقاتلت معك في سبيل الله ومت أأدخل الجنة؟» **قال**: «نعم»، فما كان منه إلا أن خاض المعركة وما خرج منها إلا شهيداً، ولم يصل لله صلاة».

---

(١) صحيح البخاري ٤/ ٢٠١ برقم (٣٦١٢).

(٢) سورة الأنعام، الآية (١٥٣).

(٣) مسند أحمد – قرطبة، ٢/ ٢٦٠ برقم (٧٥٢١).



**لماذا؟** لأنه أخذ الخط المستقيم، ومشىٰ فيه ولو خُطوة أولىٰ، فليس من المهم علىٰ السائر في هذا الطريق المستقيم الطويل أن يصل إلىٰ نهايته، ولكن أن يمشي ولو خطوة أو أكثر من ذلك حسب ما ربنا -عَزَّوَجَلَّ- يُيسِّر له ويموت علىٰ ذلك، ويُعجبني بهذه المناسبة بيت الشعر الذي يُروىٰ عن امرئ القيس الجاهلي، **وأنا أقول:** أنا لست بشاعر ولا أحفظ الشعر جيداً، ولذلك فأستسلم سلفًا فأقول لمن يحفظ الشعر: فإذا وجدني قد أخطأت فليُعنِّي وليُمِدَّني بِمدَدِه، فماذا قال امرؤُ القيس، قال:

بكىٰ صاحبي لما رأىٰ الدرب دونه ... وأيقن أنا لاحقانِ بقيصرا
فقلت له: لا تبكِ عينُك إنَّما ... نُحاوِلُ مُلكًا أو نموت فَنُعذَرا

انظر الجاهلي، لكنه عاقل..

لا تبك عينك إنما نحاول ملكًا أو نموت فنعذرا..

**فإذاً:** المهم في المسلم أن يأخذ الخط المستقيم ويموت عليه، ولذلك أقول هذا الكلام أنه بعضُ النَّاس يَستطيلون السَّير علىٰ المنهج الإسلامي، متىٰ يا أخي؟ بعضهم يستعجل مثلاً لإقامة الدولة المسلمة، وهذا أمر واجب ولابد منه، ولكنَّ إقامة الدولة المسلمة.. -تعجبني بهذه المناسبة يا شيخ علي أنت؛ وعلي كلاكما ما شاء الله إن الطيور علىٰ أشكالها تقع، يعجبني بهذه المناسبة كلمة لبعض الدعاة المعاصرين، قال هذا الداعية المعاصر كلمة في منتهىٰ الحكمة، وأعتقد أنه لو كان هناك وحي بعد رسول الله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِوَسَلَّمَ- أو كان هناك مثل عمر الذي قال عنه نبينا -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِوَسَلَّمَ-: لقد كان فيمن قبلكم محدثون، أي: ملهمون، فإن يكن في أمتي فعمر.

**فإذاً**: لو كان هناك نبي لقلت إن هذا الكلام الذي ستسمعونه هذا وحي من الله، لكن علىٰ الأقل أن يقال: إنه إلهام من الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، ماذا قال هذا الداعية.

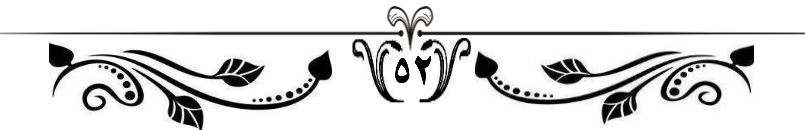
**قال**: أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم تقم لكم علىٰ أرضكم(١).

**إذاً**: السَّعيُ لإقامة الدولة المسلمة كما يقولون عندنا في دمشق تريد هز أكتاف، والشيء بالشيء يُذكر، وليتحملنا بعض إخواننا المستعجلين لما قد يكون في نفوسهم من سؤالٍ أو أسئلة، هناك حديث من المُبشَّرات، ألا وهو حديث عبد الله بن عمرو بن العاص -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ-، **قال**: «كنا في مجلس مع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فسأله سائل**: أي المدينتين نفتحها أولاً أقسطنطينية أم رومية؟ رومية يعني روما عاصمة الطليان -إيطاليا-، أي المدينتين نفتحها أولاً أقسطنطينية أم رومية؟

هذا السؤال يوحي إلينا بأن النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- كان قد بَشَّر المُسلمين بأنهم سيفتحون كلتا المدينتين، قسطنطينية ورومية، لكن ما كان بين لهم إلىٰ تلك الساعة أيها تُفتح أولاً، فجاء السؤال، فقال -عَليهِ الصَّلاةُ والسَّلام-: قسطنطينية، **الجواب**: قسطنطينية أولاً، وهذا الحديث من أعلام نُبوَّتِه -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- الغيبية، ما يُدريهِ أنَّ هذه المدينة العظيمة وهي عاصمة الروم

---

(١) **قال أبو محمد**: ولا ريب أن هذه الكلمة تُفهم علىٰ ضوء العقيدة السلفية وهي عقيدة الإمام الألباني وهي أنه متىٰ صلُحت القلوب صلُحت الأعمال والمراد من هذه الكلمة هو: اعملوا بالإسلام وأقيموه علىٰ أنفسكم ومجتمعاتكم يُمكّن لكم ربكم دينكم، ودعكم من الاتهامات الجاهزة بالإرجاء التي هي ديدن الخوارج ومن تأثر بهم.



يومئذٍ كما هي الآن لإيطاليا وفي خُصوصِ عاصمة روما هي عاصـمة النَّصـارىٰ، ولذلك مركز البابا هناك -كما تعلمون-، فما الذي أدرىٰ الرسول -عَلَيْهِٱلسَّلَامُ- بأن قسطنطينية؛ وهي في يدي الكفار المشركين الروم تُفتح أولاً؟ ذلك من وحي الله -تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ-.

**فإذاً**: هَذه بِشارةٌ عظيمة، فُتِحَت القسطنطينية فلم يبقَ علىٰ المسـلمين إلا أن يفتحوا رُوما، وسيكون ذلك يقيناً لأن الرَّسُول كما قلنا آنفـاً: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤**﴾[1].

**لكِنِّي كنت أقول وهنا الشاهد**: فتح مدينة عاصمة كروما في هذا الزمـان لا يُمكن أن تُفتح مِن المُسلمينَ في آخر الزمان؛ وهم كما نراهم مُتفرِّقين شَذَر مَذَر، طُرق ومذاهب وأحزاب وهم يقـرؤون الـقـرآن الكـريـم: ﴿**۞مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۢ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ۝٣٢**﴾[2] وأنتم ترون الآن إقليم من أقاليم المسلمين وهي أفغانستان مضىٰ عليها عشرُ سنوات ولم يسـتطع المسـلمون أن يقضوا علىٰ الحاكم الكافر في بلادهم، الذي احتلها رغم أنوفهم، **لماذا؟**

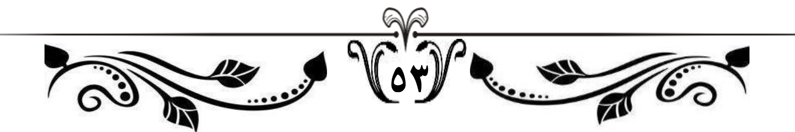
لأن الأفغانيين يقاتلون وحدهم، والمسـلمون يتفرجـون علـيهم كأنـه لا يجب عليهم أن يمدوا إخوانهم بالأشخاص وبالأموال وبالسـلاح وكـل شـيء، فكيف يستطيع المسلمون أن يفتحوا عاصمة كروما.

**وأنا أقول**: إن المسلمين هكذا كنت أقول هنـاك في وضـعهم الحاضـر لا يستطيعون أن يفتحوا قرية عندنا كدوما، كيف يستطيعون أن يفتحوا روما.

---

(١) سورة النجم، الآيات (٣ – ٤).

(٢) سورة الروم، الآيات (٣١ – ٣٢).



**إذاً**: فيجب علينا أن نقف متفكرين جداً في هذه الآية: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ**﴾(١).

هذا واقع المسلمين اليوم، فقد تفرقوا مُنذُ قُرونٍ طويلةٍ إلىٰ طُرقٍ كثيرةٍ، وهذه الطرق من حكمة الرسول -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-، وأنا في الحقيقة مُعجبٌ بشيءٍ ما أحد يعني فكر فيه، أو رُبَّما فكَّر ولكن ما عبَّر عنهُ، وهو أن الرسول -عليه السلام- رسَّامٌ ماهر، لكنه إنما يرسم ما يجوز وليس ما يَحرُم، لأنه حرَّم التصوير لذوات الأرواح، ولكنه هنا صوَّر الخطَّ المُستقيم والخطوط الأخرىٰ المعاكسة له، فصور الخط المستقيم خطًا طويلاً، وصوَّر حوله ليس خُطوطًا طويلة، وهذه المهارة في الرَّسمِ، وإنما هي خطوط قصيرة، لماذا؟

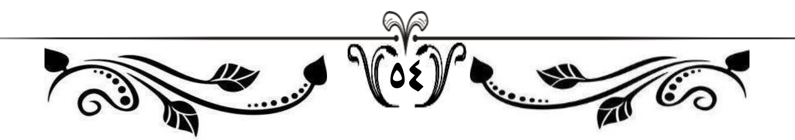
لحكمة بينها الرسول في تمام الحديث، لما تلا بعد أن صور هذه الصورة الرائعة وقرأ عليها الآية قال: «**هذا صراط الله، وهذه طرق، وعلىٰ رأس كل طريق منها شيطان يدعو الناس إليها**».

**ما معنىٰ هذا الكلام؟**

فيه هنا كلام يتلفظ به لسان الرسول -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-، لكن هناك كلام لم يتلفَّظ به، وإنما رسمه لأصحابه علىٰ الأرض، وهو أن هذه الطرق قصيرة مُغرِيَة للسائرين علىٰ الدرب الطويل، فإنَّ علىٰ كل رأس طريق من هذه الطرق القصيرة شيطان، كأنه يقول للسالكين علىٰ الصراط الطويل: أين ذاهبون؟ متىٰ تصلون؟ انظروا ما أقرب هذا الطريق! فإلي إلي ولذلك تجد ليس فقط الضالين الشاردين الخارجين عن دائرة الإسلام، بل وبعض المُسلمين -أنفسهم- انغَشُّوا بنصيحة الشَّيطان، والشيطان عمره ما نصح مسلمـًا» اهـ.

---

(١) سورة الأنعام، الآية (١٥٣).



إذًا؛ فالواجب علينا لتحقيق الإصلاح وإرجاعِ العزَّة والكرامة الإسلامية؟ هُو: [التصفية والتربية]، نأخذ علمًا صحيحًا، ونُربِّي النـاسَ عليـهِ؛ وأن نقـوم بالواجبات الشرعية، ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾[1] ثم لا نتعجَّل، والنبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ- لام أصحابه لما كـانوا يُقتلُـون فضـرب لهـم المثـل وقـال في آخـره كمـا جـاء في حـديث خَبَّـابِ بْـنِ الأَرَتِّ؛ «وَلَكِـنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»[2].

ما معنىٰ: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾؟

إن قمتم بالفروض الكفائِيَّة، والفروض العينية، فنصرتم الله، نصـركم الله -عَزَّوَجَلَّ-، ومن مات ولم يتحقق النصر؟ نأسىٰ!؛ الصَّحابة ماتوا والأنبياء كـانوا يموتون، وما يرون ثمرة عملهم، والأئمة المُصلحون؛ شيخ الإسـلام مـات في السِّجن، شيخ الإسلامِ ابن تيمية أحمـد بـن عبـد الحليم بـن عبـاس، مـات في السجن علىٰ مسـائل الطـلاق، حُبِسَ علىٰ مسـائل الطَّـلاق، وأصبحت الآن المحاكم الشرعية في العالم كُلِّه تحكم بمذهبِ شـيخ الإسـلام ابـن تيميـة فمـن صدَق الله، صدَقَهُ الله، ومـن صـدَقَ الله فـإن الله -عَزَّوَجَلَّ- إن كـان الرَّجـلُ تقيًّـا صابراً، فإن الله لا يُضيِّعُ عمله، والله -عَزَّوَجَلَّ- يقول في سُورة يوسـف: ﴿إِنَّـهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِـيعُ أَجۡـرَ ٱلۡمُحۡسِـنِينَ﴾[3] التَّقِـيُّ والصَّـابِر لا يمكن أن يُضيِّع العمل، لكن هل يلزم أن يراه صَاحِبُه؟ لا، لا يلزم.

---

(١) سورة محمد، الآية (٧).

(٢) صحيح البخاري ٤/ ٢٠١ برقم (٣٦١٢).

(٣) سورة يوسف، الآية (٩٠).

قَال الإمامُ الأَلبانِيُّ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: علاج هذه الأمة ليعود إليها مجدها، ولتتحقق لها دولتها، ليس لذلك سبيلٌ إلا البدء بما أُلخِّصُه بكلمتين اثنتين: بـ[التصفية والتربية]، خلافًا لجماعاتٍ كثيرة يسعون إلىٰ إقامة الدولة المسلمة -بزعمهم- بوضع أيديهم علىٰ الحكم؛ سواءً كان ذلك بطريق سلمي كما يقولون: بالانتخابات، أو كان ذلك بطريق دموي، كالانقلابات العسكرية والثورات الدموية، ونحو ذلك، نقول: هذا ليس هو السبيل لإقامة دولة الإسلام علىٰ أرض الإسلام، وإنما السبيل هو سبيل رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، الذي دعا في مكة -كما تعلمون- ثلاث عشرة سنة، ثم أتم الدعوة في المدينة ، فهناك بدأ بعد أن استصفىٰ له ممن اتبعه وآمن به رجالاً لا تأخذهم في الله لومة لائم، فبدأ بوضع أسس الدولة المسلمة.

والتاريخ -كما يقولون- يُعيدُ نفسه، فلا سبيل أبداً، وأنا علىٰ يقين مما أقول، والتجربة الواقعية منذ نحو قرن من الزمان تدل علىٰ أنه لا مجال إطلاقًا، لتحقيق نهضةٍ إسلاميَّةٍ صحيحة، ومن ورائها إقامة الدولة المسلمة إلا بتحقيق هذين الهدفين: **التصفية**: وهو كناية عن العلم الصحيح، **والتربية**: وهو أن يكون الإنسان مربًىٰ علىٰ هذا العِلم الصَّحيح عَلَىٰ الكِتابِ والسُّنَّةِ.

## ❑ خـاتـمـة:

هذا ما تيسر جمعه من الأدلة والتقريرات لنصرة المنهج الحق في الإصلاح وهو منهج [التصفية والتربية] الذي لا يصبر عليه إلا مَنْ وفَّـقـهُ الله إليه لأن النفوس تتوثَّب لقطف الثمار؛ ولا تصبر علىٰ الزرع وتعَاهُده والعناية به حتىٰ يُثمر، ولهذا ظلت الأمة إلا من رحم الله تتخبط وتُعيد التجارب الفاشلة ولا تستفيق من فتنةٍ حتىٰ تتلبس بأُخرىٰ.

والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله..

